# هل تعرف من أنا

## ١٠ شخصيات من عظماء الصحابة

## للأطفال

محمد حمزة السعداوي

محمد هاني



# هل تعرف من أنا؟

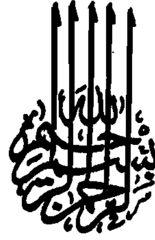
## ١٠ شخصيات من عظماء الصحابة

## للأطفال

محمد حمزة السعداوي

مكتبة القرآن
للطبع والنشر والتوزيع
٣ شارع القماش بالفرنساوي - بولاق
القاهرة - ت: ٧٦١٩٦٢ - ٧٦٨٥٩١

مكتبة القرآن



# « أنا من اهتزَّ عَرْشُ الرَّحمن لموته »

( ١ )

أنا رجل وسِيم ، مُشرق الوجه ، مُمتلىء الجسم ، طويل القامة ، سيد بنى الأشهل ، من قبيلة تسمى « قبيلة الأوس » .

عمرى فى الإسلام حوالى ست سنوات فقط ، حيث أسلمت وأنا فى العام الواحد والثلاثين من عمرى ، واسْتُشهِدتُ فى العام السابع والثلاثين .

يقولون : إنّ رسول الله ﷺ قال : لقد اهتز عرش الرحمن لموتى ، ونزل سبعون ألفا من الملائكة تسير فى جنازتى .

أظنكم الآن فى شوق لتعرفوا من أنا ؟ فإليكم قصتى ، ومنها تعرفون شخصيتى .

كانت قبيلتى فى الماضى البعيد تعيش فى أرض اليمن ، لكنها اضطرت إلى تركها بعد أن تهدَّمَ سد مأرب ، وقضت مياهه على الحقول والمزارع والبساتين ، وخربت البلاد والديار ، وأغرقت القصور والدور ، وعزَّ الطعام والشراب . فهاجرت إلى أرض الحجاز ، واستقرت فى مدينة « يثرب » التى سميت بعد هجرة الرسول إليها « المدينة المنورة » .

عاش أجدادى بالمدينة إلى جوار قبيلة أخرى تُسمى « الخزرج » وكان بين القبيلتين – قبيلة الأوس ، وقبيلة الخزرج – خصومات وحروب وعداء ، كل منهما تريد أن يكون لها السيادة . وبجانبهم كان يعيش اليهود من بنى قريظة ، وبنى النضير .

وأذكر جيدا وأنا دون سن العشرين ، أننى سمعت بظهور دين جديد فى مكة ، يدعو إليه رجل يسمى : محمد بن عبدالله ﷺ ، لكننى لم أكن أعرف حقيقة هذا الدين ، ولا كنت أريد أن أعرف .

ومضت أيامنا فى المدينة كما تمضى دائما ، وذات يوم وأنا فى سن الواحد والثلاثين ، سمعت أن وفدا من أهل المدينة قد لقى الرسول الجديد فى مكة ، وآمن به ، وأنه أرسل مع هذا الوفد رجلا اسمه « مصعب بن عمير » ليقرأ لهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويدعو الناس إلى الدخول فى الدين الجديد .

ولعلكم لا تتصورون مدى ثورتى وغضبى ، وثورة كثير من أهل المدينة ، على وجود هذا الرجل القادم من مكة ، من عند محمد بن عبدالله ، يُفْسِدُ علينا حياتنا ، ويدعو إلى دين يخالف دين آبائنا وأجدادنا .

وكانت ثورتى أشدّ ، عندما علمت أن هذا الداعي إلى الإسلام ، يجلس فى دار ابن خالتى **«أسعد بن زرارة»** ، ويتخذ منها مقرا للدعوة إلى دين محمد ، وتعليم المسلمين أمور دينهم .

ولم أطِقْ الانتظار ، فتقلدت سلاحى ، وانطلقت مسرعا إلى دار ابن خالتى ، لأُبْعِدَ ذلك الرجل الغريب خارج المدينة ، حاملا دينه الجديد ، أو ليكن مصيره القتل .

وحين وصلت إلى دار ابن خالتى ، إذا بى أرى « مصعب بن عمير » جالسا وسط مجموعة من المسلمين ، يقرأ عليهم القرآن ، ودارت بينى وبينه مشادة كلامية ، عنيفة . لكن الرجل كان هادئا ومبتسما ، وقال لى : يا بن ( فلان ) اجلس لأحدثك عن الإسلام ، واستمع إلى القرآن الذى نزل على محمد ، ثم حَكِّم عقلك فيما تسمع . ولك بعد ذلك أن تحكم بما تراه وتريده .

ولا أكتمكم الحقيقة ، فلقد استمالنى كلام الرجل ومنطقه . فقلت فى نفسى لأسمع ما يقوله ... وجلست ...

كان وجه «**مصعب بن عمير**» يبدو عليه الوقار والجلال ، وهو يحدثنى عن الإسلام ، ويقرأ آيات من القرآن . وما كدت أسمع من الرجل ، حتى شعرت بالسكينة تسرى فى قلبى ، والخشية تستولى على مشاعرى ، والهدوء يدبُّ فى كل أعضاء جسمى ، وتلفت أنظر إلى وجوه الجالسين حولى ، لأراها مشرقة ، يكسوها الجلال والخشية والمهابة ، وتأملت كلام مصعب ، فوجدته الحق ، ولا حق سواه .

وما إن انتهى مصعب من حديثه ، حتى مددت إليه يدى قائلا : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله . عندئذ هَلّل الحاضرون وكبروا ، وأقبل عَلَيَّ ابن خالتى يقبلنى ، ويهنئنى على دخولى فى الإسلام .

وعلى الفور ، عدت إلى قومى « بنى عبدالأشهل » الذين كانوا ينتظروننى ، وقلت لهم : كيف تعلمون أمرى فيكم ؟ قالوا : سيدنا ، وأفضلنا رأياً . قلت : لقد سمعت من مصعب كلاما ، فوجدته خيرا كله ، وصلاحا لأمرنا ، فأسلمت لله رب العالمين ، وشهدت بنبوة محمد بن عبدالله . ومن اليوم كلام رجالكم ونسائكم علىّ حرام ، حتى تؤمنوا بالله . ورسوله محمد بن عبدالله .

أتعلمون ماذا حدث بعد ذلك ؟ لقد أسلم كل قومى ، وبدأت أساعد « مصعب بن عمير » فى الدعوة إلى الإسلام ، حتى أسلم كثير من أهل المدينة ، مما جعلهم يقولون عنى : إننى من أعظم الناس بركة فى الإسلام ، لكثرة من أسلموا بعد إسلامى ، وعلى يدىّ .

ومرت بنا الأيام سعيدة ، مشرقة بنور الإسلام ، إلى أن اكتملت سعادتنا يوم جاء رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة مهاجرا من ظلم كفار مكة الذين تآمروا على قتله ، يومها كانت كل بيوت

قومى مفتوحة لإخواننا المهاجرين ، وكل ثرواتنا وما نملك تحت تصرفهم ، وفى نصرة رسول الله والإسلام .

وذات يوم جمعنا رسول الله عليه الصلاة والسلام – نحن الأنصار – بإخواننا المهاجرين ، ليستشيرنا فى لقاء المشركين وحربهم ، وقال ووجهه ناحيتنا : « **أشيروا علىّ أيها الناس** » فنهضت قائما وقلت : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله .. نحن الأنصار ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : أجل . فقلت : يا رسول الله ، لقد آمنَّا بِكَ وصَدَّقْناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا . فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك . والذى بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد . وما نكره أن تلقى بنا عدوًّا غدا ... إنا لَصُبُرٌ فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك . فسر بنا على بركة الله .

وما إن سمع رسول الله – عليه الصلاة والسلام – ما قلت ، حتى تألق وجهه رضا وسعادة ، وقال للمجتمعين : سيروا وأبشروا ، فالله وعدنى إحدى الطائفتين . والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم ...

والتقينا بالكفار فى معركة « **بدر** » ، ومن بعدها غزوة أحد ، وكنت فيهما جنديا مع رسول الله والمسلمين .

ومضت أيامنا فى المدينة المنورة ، نعيش فى سلام . نعبد الله ، ونتواصى بالطاعة ، ونتعاون على الخير ، ونتعلم من رسول الله عليه الصلاة والسلام . لكن الحقد والكره فى قلوب يهود المدينة وكفار مكة ، كان يزداد على الإسلام والمسلمين ، كلما وجدونا نعيش فى سلام ، ونرسى قواعد الدولة الإسلامية فى المدينة . كانوا يخافون على

سلطانهم ونفوذهم وجبروتهم كلما وجدوا الناس يدخلون فى دين الإسلام .

وذات يوم ، ذهبت مجموعة من زعماء يهود المدينة إلى مكة ليحرضوا أهلها على حرب المسلمين ، والقضاء على « **محمد** » ودعوته فى المدينة ، واتفقوا مع قريش على أن يجهزوا جيشهم ، ويزحفوا إلى المدينة ، وسوف ينضمون إليه ، هم وحلفاؤهم .

ووصل خبر المؤامرة إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فأمر بالاستعداد للحرب ، وحفر خندق حول المدينة ، كما أشار سلمان الفارسى ، حتى يعوق دخول الجيش القادم من مكة إلى المدينة . ثم أرسلنى فى وفد إلى يهود بنى قريظة لنعرف موقفهم من الحرب ، ونطالبهم بالوفاء بالمعاهدة التى بينهم وبين المسلمين . لكنهم تنكروا لوعودهم واتفاقاتهم ، وأظهروا كرههم للإسلام والمسلمين ، وقالوا : ليس بيننا وبين محمد عهد ولا عقد .

ولا أخفى عليكم مدى الغيظ الذى ملأ قلبى من هؤلاء الخائنين للعهد ، الذين دأبوا على خيانة المسلمين ، ونقض العهود ، وكدت أعمل فيهم سيفى ، لكن المهمة التى كُلِّفنا بها لا تتطلب منا ذلك . فتركناهم وعدنا نخبر رسول الله بموقفهم .

ولما وصل جيش قريش وحلفاؤها إلى المدينة ، وجدوا الخندق يحول بينهم وبين دخولها ، ووجدوا جيشنا خلف الخندق لحمايته ، فعسكروا حول المدينة .

**أتعلمون متى كان ذلك؟ وكم كان عدد جيشنا وجيشهم ؟**

كان ذلك فى شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة ، وكان عدد

جيشهم يربو على عشرة آلاف مقاتل ، بينما عدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف مجاهد .

كان موقعى فى الصفوف الأولى من جيش المسلمين ، نحرس الخندق ، ونمنع جيش الكفار من عبوره ، ونترامى بالسهام ، والنبال على فترات .

وفى إحدى جولاتنا معهم ، تمكن أحد الأعداء من إصابتى بسهم فى ذراعى ، فقطع وريدى ، وتفجر منه الدم بغزارة ، فأمر رسول الله ﷺ ، أن يحملونى إلى خيمة فى المسجد لأعالج ، ولأكون قريبا منه ، يزورنى من حين لآخر وهو يدير المعركة .

وما إن وضعونى فى المسجد ، لتقوم بعلاجى مسلمة تسمى «**رفيدة الأنصارية**» حتى رفعت وجهى إلى السماء قائلا « اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها ، فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم آذَوْا رسولك وكذَّبوه وأخرجوه . وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعل ما أصابنى اليوم طريقا للشهادة ، ولا تُمِتْنى حتى تقرَّ عينى من بنى قريظة .. » .

واستجاب الله دعائى ، فكانت إصابتى هذه طريقى للشهادة ، ولم أمت حتى شفى الله صدرى من بنى قريظة . **أتعرفون كيف حدث هذا؟**

بعد أن يئس الكفار من حصار المدينة ، ووجدوا أنه يستحيل عليهم دخولها ، ودب فى صفوفهم الهلع والفزع ، وأرسل الله عليهم ريحا عاتية ، كفأت القدور ، واقتلعت الخيام ، وملأت عيونهم وأفواههم بالرمال ، لم يجدوا وسيلة إلا أن يعودوا من حيث جاءوا ، وردّ الله كيدهم فى نحورهم ، بعد أن استمر حصارهم شهرا كاملا ،

يقول سبحانه ﴿ **يأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا ، وجنودا لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيرا** ﴾

[ الأحزاب : ٩ ]

بعد هذه المعركة ، رأى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، أن يعاقب يهود بني قريظة على خيانتهم ، وألا يتركهم يغدرون بالمسلمين كلما أرادوا . فأمر أصحابه بالسير إليهم ، وحاصروهم خمسة وعشرين يوما ، حتى استسلموا وطلبوا من رسول الله ﷺ ، أن أَحْكُمَ فيهم ، وسيقبلون حُكمى .

أرسل رسول الله من يحضرنى من خيمتى التى أعالج فيها ، فحضرتُ محمولا على دابة ، وقد أنهكنى المرضِ والإعياء . فقال لى المصطفى : احكم فى بنى قريظة . وعلى الفور مَرَّ فى خاطرى مواقف هؤلاء القوم ، وخياناتهم المتكررة للمسلمين ، وآخرها خيانتهم فى غزوة الخندق التى كان يمكن لها أن تقضى على المسلمين نهائيا فى المدينة . فقلت : يارسول الله ، أحكم فيهم أن يُقتل رجالهم ، وتُسْبَى ذراريهم ، وتُقسَّم أموالهم .

وهكذا شفى الله صدرى من بنى قريظة ، قبل أن أفارق الحياة . وعاد جرحى ينزف بغزارة ، وساءت حالتى . وسمعت رسول الله ﷺ وهو فى زيارته الأخيرة لى ، يدعو الله أن يتقبل روحى بخير ما تقبلت به روح . فاطمأن قلبى . وحاولت فتح عينى ليكون رسول الله آخر ما تُبصره . وقلت : السلام عليك يا رسول الله ، أمَا إنِّى لأشهد أنك رسول الله فرد علىَّ قائلا : هنيئا لك يا أبا عمرو

وكانت هذه الكلمات آخر ما سمعت ، وكان رسول الله ﷺ آخر من رأيت . **فهل عرفتم من أنا ؟**

**أنا سعد بن معاذ** ، الذى قال الرسول عليه الصلاة والسلام يوم رأى أمِّى تندبنى « **كل نادبة كاذبة إلا نادبة سعد !** » .

وقال سعيد الخدرى : « كنت ممن حفروا قبر سعد ، وكنا كلما حفرنا طبقة من تراب شممنا ريح المسك ، حتى انتهينا إلى اللحد .

ويوم أُهْدِىَ لرسول الله ثوب من حرير ، فجعلوا يعجبون من لينه . فقال لهم رسول الله ﷺ « **أتعجبون من هذا ، لمناديل سعد فى الجنة أحسن من هذا ..** »

أتعلمون سر بلوغى هذه المنزلة ؟ لأننى كنت صادق الإيمان حين أسلمت ، وتعلمت من رسول الله والتزمت بفعل ما تعلَّمت ، ووهبت نفسى ومالى فى سبيل نصرة الحق .

# « أنا الغُـلام المُعَـلِّم »

# ( ٢ )

ماذا أقول لكم عن نفسى ، وأنا رجل نحيف الجسم ، ضعيف البِنْيَة ، قصير القامة . يكاد الرجل الجالس يساوينى من قصرى .

ولى ساقان ناحلتان دقيقتان . صعدت يوما على شجرة ، فرأى أصحاب النبى ساقىَّ فضحكوا . فقال لهم رسول الله ﷺ : « **تضحكون من ساقىْ [ فلان ] لهما أثقل فى الميزان عند الله من جَبَلِ أُحُد** »

ومع ذلك منحنى الله حضورا فى البديهة ، وقوة فى الحجة ، وجرأة فى الحق ، وإرادة تقهر الجبابرة ، وتصنع التاريخ . فالرجال بقوة إرادتهم ، وصدق عزيمتهم . لا بأجسامهم وأشكالهم .

أنا الذى قتلت أكبر عدوٍّ لله ورسوله ، قتلت « **أبا جهل** » فى غزوة بدر ، فمنحنى رسول الله سيفه .

قالوا عنى : إنهم مارأوا رجلا أحسن خلقا ، ولا أرفق تعليما ، ولا أحسنَ مجالسة ، ولا أشد ورعا منى . وحاشالله أن أزكى نفسى .

قال لى رسول الله يوما : « **إنك غُلام مُعَلَّم** »

دعونا من هذا ، وهيا اقرءوا قصة حياتى ، لعلكم تعرفون من أنا ؟

أنا من «**بنى هذيل**» نشأت فى أسرة فقيرة ضعيفة ، مغلوبة على أمرها . وكان على والدى كى نعيش فى أمان من اعتداء القبائل الأخرى ، أن يكون حليفا مع أحدٍ من القبائل الكبيرة لتحمينا . فتحالف مع رجل يسمى « **عبدالله بن الحارث** ».

وهكذا عشنا ... حتى مات والدى . فذهبت إلى مكة أبحث عن عمل نعيش منه . وأخيرا عملت راعيا لغنم « **عقبة بن معيط** »

ولعلكم تتعجبون حين أقول لكم : إن أخوالى حاولوا أن يوفِّروا لى كل أسباب الحياة ، من طعام وشراب ، حتى لا أعمل أجيرا عند أحد . لكننى رفضت . أتعلمون لماذا رفضت ؟ لأن الرجل لا يحبُّ أن يعيش عالةً على غيره ، ولا أن يأكل إلا من عمل يده ، ولا يجد سعادة إلا فى عرقه وكفاحه . وأنا من هؤلاء الرجال .

عشت فى مكة أرعى الغنم فى صحرائها وجبالها وشعابها ، تحت أشعة شمسها المحرقة . إلى أن استيقظت مكة ذات يوم على دعوة الحق . دعوة محمد بن عبدالله إلى الإسلام . فسارعت إليه ، وكنت سادس ستة آمنوا بدعوته ، وما على الأرض يومها مسلمون غيرنا ...

**أتعرفون لماذا سارعت إلى الإسلام ؟**

لقد كنت ذات يوم أرعى الغنم كعادتى ، فمرّ علىّ رجلان لا أعرفهما . وإذابواحد منهما يقول لى : يا غلام ، هل عندك من لبن تسقينا ؟ نظرت إلى وجه الرجل فوجدته تعلوه المهابة والوقار ، ويشرق بالجلال . فقلت له : نعم عندى لبن ، لكننى مؤتمن على هذه الغنم ، فهى ليست ملكى حتى أعطيكم من لبنها . إنها أمانة عندى يا سيدى ، وأنا لا أخون الأمانة أبدا .

فقال لى الرجل : « ائتنى بشاة لم يَنْزُ عليها الفحل » لم تحمل ، ولم تَلِدْ ، وليس بها لبن . فأتيته بواحدة . فأخذ يمسح على ضرعها بيده ، ويدعو بكلام . فإذا الضرع قد امتلأ باللبن ، فاحتلبها ، وشربت وشربا . ثم قال للضّرع : اقلص ، فقلص ، وعاد كما كان ، ليس به لبن .

وأخيرا عرفت أن الذى طلب منى الشاة ومسح على ضرعها ، يسمى **«محمد بن عبدالله»** ، والرجل الثانى اسمه : **«أبوبكر»** .

انصرف الرجلان ، وتركانى في ذهول مما رأيت ، وفى فمى حلاوة اللبن الذى شربته ، والذى لم أذق مثله فى حياتى . وكان عجبى أشد من الكلام الذى كان يدعو به « محمد » وهو يمسح ضرع الشاة .

ولما أفقت من دهشتى وعجبى ، أسرعت بالغنم إلى مكة ، وسلمتها لصاحبها . وأخذت أبحث عن الرجلين فى كل مكان ، حتى عثرت عليهما بعد يومين .

سألت **«محمدا»** أن يعلمنى من الكلام الذى سمعته منه ، فعرض علىّ الإسلام ، فأسلمت . ومسح رسول الله ﷺ على رأسى وقال لى : « **إنك غلام مُعلِّم** » .

من ذلك اليوم الذى آمنت فيه بالإسلام ، وأنا ملازم لرسول الله ﷺ . إلى درجة أنه قال لى : **«إذنك علىّ أن ترفع الحجاب»**

فكنت أدخل عليه فى أى وقت أشاء . أخدمه ، وأستره إذا اغتسل ، وأوقظه إذا نام ، وأجالسه أكثر مما يجالسه غيرى ، وأتعلم منه . وكنت موضع سِرِّه ونجواه . حتى ظن بعض المسلمين من قوة حبه لى ، وشدة ملازمتى له ، أننى من أهله .

ورغم ذلك ، كنت قليل التحدث عن رسول الله بعد مماته . وكنت إذا حرّكت شفتىّ لأقول سمعت رسول الله ﷺ يقول ، تأخذنى الرّعدة الشديدة ، ويبدو علىَّ الأضطراب والقلق ، إجلالا له ، وخشية أن أنْسَى ، فأضع حرفا مكان حرف . فالتحدث عن الآخرين أمانة ، تتطلب من المتحدث أن يكون صادقا فى كل ما يقول ، وألا يزيد أو ينقص . فما بالكم وأنا أتحدث عن رسول الله ﷺ .

أنا من حَفَظَةِ القرآن الكريم وقُرَّائه ، ومِنْ كُتَّاب الوحْى . أخذت عن رسول الله « سبعين سورة من سور القرآن » ما نازعنى فيها أحد . وكنت موضع ثقة الرسول فى ذلك ، وكان يحبّ أن يسمع القرآن مِنّى . وقال لأصحابه : « **مَن أحب أن يسمع القرآن غَضًّا كما أُنزل ، فليسمعه من ابن أم عبد** » يعنى أنا . و كان يوصيهم بأن يحاكونى فى قراءتى ، ويتعلموا منى قراءة القرآن .

ذات يوم ، اجتمع بعض أصحاب رسول الله ﷺ ، وقالوا : والله ما سَمِعَتْ قريش هذا القرآن يُجهر لها به . ألا يوجد رجل يسمعهم ، ويجهر بالقرآن أمامهم ؟ فقلت لهم : أنا . قالوا : إننا نخشى عليك من بطشهم . نريد رجلا له قبيلة قوية تحميه من إيذائهم . فقلت لهم : دعونى فإن الله سيحمينى منهم .

وما كدت أرفع صوتى قارئا « **بسم الله الرحمن الرحيم . الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علَّمه البيان** ... » حتى أنصت الكفار لقراءتى . وقال بعضهم لبعض : ماذا يقول ابن أم عبد ؟ قال أحدهم : يتلو بعض ماجاء به محمد .

وتجمعوا حولى ، وراحوا يضربونى ، وأنا مستمر فى قراءتى ، متحدّيا كفرهم وجبروتهم ، إلى أن أصابونى فى وجهى وجسدى وسال الدم منى .

ولما عدت لأصحابى ، قالوا : هذا ماكنا نخشاه عليك . فقلت لهم : ما كان أعداء الله أهون على منهم الآن ، ولئن شئتم لَأُقْرأَنَّ عليهم غدا . فقالوا لى : كَفَى . فقد أسمعتَهم ما يكرهون .

كنت أقرأ القرآن بصوت عذب ، يجذب إلىَّ كثيرا من أهل مكة ، حتى ضاق « أبو جهل » منى ، وضربنى يوما على رأسى ،

فسال منها الدم غزيرا ، فلطمته على وجهه ، فثار قائلا : لن تفلت بها يا راعى الغنم . فقلت له : ولن تفلت بما فعلت يا عدو الله .

هل تتصورون ، أنا راعى الغنم ، الفقير الضعيف ، أصفع أبا جهل على وجهه ؟!! أبوجهل ، زعيم الكفار ، وكبير من كبراء قريش . من أين جاءتنى الجرأة والقوة ؟ أتعلمون مصدرها ؟ إنها من إيمانى بالله ورسوله ، من الحق الذى أتبعه ، فالمؤمن لايخاف جبارا ولا طاغية ، ولا يرهب ظالما ، ولا يبالى بما يُصيبه فى سبيل الله ، وأداء رسالته فى الحياة .

ودارت الأيام ... وفى غزوة « بدر » كانت نهاية « أبى جهل » على يدى . فلقد ضربته الضربة الأخيرة التى قضت على حياته . وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ، قلت له : ها قد أخزاك الله ، يا عدو الله . فقال : هٰا أنت ذا يا راعى الغنم، لقد ارتقيت مُرْتَقًى صعبا . فرددت عليه : لقد أخزاك الله بما قدمت للمسلمين من شر ، فذق عذاب الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد ...... يومها ، منحنى رسول الله ﷺ سيفه .

ولما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، وقفت بجوار خليفته أبى بكر الصديق ، مع المدافعين عن دين الله فى حرب الردة ، وحروب الدعوة . ومن بعده أرسلنى الخليفة عمر بن الخطاب إلى الكوفة ، وكتب إلى أهلها : « إنى قد بعثت إليكم بعمار بن ياسر أميرا [ وبى ] معلِّما ووزيرا ، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ، من أهل بدر . فاقتدوا بهما ، وأطيعوا واسمعوا قولهما » .

مكثت فى الكوفة مدة خلافة عمر بن الخطاب ، وفترة من خلافة عثمان بن عفان ، وواليا على بيت المال ، وأُعَلِّم الناس شئون دينهم ، وأقرأ القرآن ، وأُعَلِّمُ الحكَّام كيفية التصرف فى مال

المسلمين ، والحفاظ عليه . فليس مال المسلمين للحكام ، ولا لمظاهر الحكم ، وإنما لصالح المسلمين .

أحبني أهل الكوفة حبا كبيرا ، إلى درجة أنهم أحاطوا بي يوم أرسل الخليفة عثمان بن عفان يستدعيني إلى المدينة المنورة ، وقالوا لي : ابق معنا . فقلت لهم : « إنه الخليفة ، وله عليَّ حق الطاعة ... »

عدت من الكوفة إلى المدينة المنورة . وذات يوم ، حدث بيني وبين الخليفة عثمان حوار وخلاف ، ومع ذلك وقفت مدافعا ومحذرا ، حين رأيت التذمر في عهده يتحول إلى ثورة ، ولم أقل فيه كلمة سوء واحدة .

زارني يوما عثمان بن عفان وأنا مريض ، وقال لي : ما تشتكي ؟ قلت ذنوبي . قال فما تشتهي ؟ قلت : رحمة ربي . قال : ألا آمر لك بطبيب ؟ قلت : الطبيب أمْرَضَنِي . قال : ألا آمر لك بِعَطاء ؟ قلت : لا حاجة لي فيه . قال : يكون لبناتك . قلت : أتخشى على بناتي الفقر . إني أمرتهنَّ أن يقرأنَ كل ليلة سورة « الواقعة » ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«من قرأ سورة الواقعة كل ليلة ، لم تُصبه فاقة أبدا »**

**أظنكم الآن عرفتم من أنا ؟**

**أنا** : **عبدالله بن مسعود** . وأمي : أم عبد . بشرني رسول الله ﷺ بالجنة . وقال لأصحابه : « **تمسكوا بعهد ابن أم عبد ..** »

قال عني «**حذيفة**» : مارأيت أحدا أشبه برسول الله في هديه ودَلّه وسَمْتِهِ من ابن مسعود .

وقال عني أبو موسى الأشعري : لا تسألوا عن شيء مادام هذا الحَبْرُ فيكم .

فهل يا ترى ستتمسكون بعهدى . وتجعلون من القرآن دليلا لحياتكم ، ومنهاج عمل وسلوك ؟ أرجو ذلك .

# « أنا الباحث عن الحقيقة »

( ٣ )

أنا رجل طويل الساقين ، غزير الشعر ، قوى الجسم ، ضربة واحدة من يدى تفلق الصخر .

قالوا عنى : إننى قوى الشخصية ، ذكىّ ، حسن الخلق ، عالم بأمور الدين ، كنت دائما أبحث عن الحقيقة ، حتى وجدتها .

أتريدون أن تعرفوا من أنا ؟ وما هى قصتى ؟

أنا من أهل فارس «**إيران**» ولدت قبل الإسلام فى إحدى قرى «**أصبهان**» وكان والدى رجلا غنيا ، ويحبنى جدا ، فعشت فى النعيم والقصور مدلّلا مُرفّها . كان قومى يعبدون النار ، لكننى كنت أكره هذه العبادة ، وكنت دائما أفكر فيها ، حاولت أن أقتنع بها ، فلم أتقبلها ، فهى فى نظرى عبادة سيئة ، لا أحبها .

وذات يوم أرسلنى والدى إلى ضيعتنا لبعض الأعمال ، وفى طريقى مررت بكنيسة للنصارى ، وسمعتهم يصلون ، ولما دخلت إليهم ، أعجبت بصلاتهم ، ووجدت أن دينهم أحسن من دين أبى وقومه ، ولما عدت إلى أبى ، أخبرته بما رأيت فى الكنيسة . فثار فى وجهى ، وخاف أن أترك دينه ( عبادة النار ) فقيدنى وحبسنى ، حتى لا أتصل بالنصارى ؛ لكننى تمكنت من الاتصال بهم ، واتفقت معهم على أن أرحل إلى الشام مع أول قافلة لهم تذهب إلى هناك ، لأتعرف على حقيقة دينهم .

وهناك فى الشام التقيت برجال الدين المسيحى ، ولازمتهم ، وتعلمت منهم . وذات يوم قال لى أحدهم وهو يموت : إن هناك نَبِيًّا جديدا سيبعث فى أرض العرب ، يدعو إلى توحيد الله ، وقد حان زمانه ، وذكر لى أوصاف هذا النبىّ وطلب منى أن أرحل إلى هناك .

ومع أول قافلة كانت متجهة إلى أرض العرب سافرت معها ،

كانت القافلة متجهة إلى « يثرب » المدينة المنورة ، لكن أصحاب القافلة غدروا بى ، وباعونى عبدا ليهودىّ من « يثرب » .

وهكذا عشت فى يثرب عبدا ، أعيش فى خيمة ، وأرعى الغنم ، وألبس الملابس الخشنة وأنام على الرمل والحصى ، بعد أن كنت أعيش فى القصور ، وألبس الحرير ، وأنام على ريش النّعام المُريح ، لكن كل ذلك يهون فى سبيل أن ألتقى بالنبى الجديد وأعرف حقيقة الدين الصحيح .

وذات يوم كنت أعمل فى مزرعة سيدى اليهودى ، فعلمت أن النبى الجديد جاء إلى « يثرب » مهاجرا من مكة ، فأسرعت فى الذهاب إليه ، ولما وقفت أمامه ، رأيت كل العلامات التى سمعتها فى الشام ، خاتم النبوة بين كتفيه ، وخلقه وصفاته ، كما سمعت عنها ، وعلى الفور دخلت فى الإسلام ، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

لكننى كنت حزينا بعد ذلك . **أتعلمون لماذا كنت حزينا ؟** لأننى لم أستطع الاشتراك مع المسلمين فى غزوة « بدر » وغزوة « أحد » لأننى عبد عند اليهودى ولا أملك من أمر نفسى شيئا !

ولما طلبت من سيدى أن يعتقنى ، ويطلق حُرّيتى ، اشترط علىّ أن أزرع له ثلاثمائة نخلة ، وأعطيه أربعمائة أُوقية من الذهب ، وبعدها يطلق سراحى ، وأصبح حرًّا .

وهنا أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يساعدونى فى زراعة النخيل وجمع الذهب . وكان هذا أول مشروع للشجرة **«أسبوع الشجرة»** كما تقولون . ولما أصبحت حرًّا ، كانت أول غزوة أشترك فيها مع الرسول وأصحابه ، هى غزوة الخندق التى كان لى فيها شأن

كبير ، **أتعلمون ماذا حدث فى هذه الغزوة ولم سميت « غزوة الخندق » ؟**

لقد أراد الكفار أن يقضوا على الدين الإسلامى نهائيا ، بعد غزوة « بدر وأحد » **فجهزوا** جيشا كبيرا بلغ عدده « ٢٤ ألفا » وبدءوا يزحفون إلى المدينة المنورة ليحاصرونا فيها . ويقضوا علينا ، ورأى المسلمون أنفسهم فى موقف صعب .

أسرعت إلى هضبة عالية ، وألقيت نظرة على المدينة المنورة ، فوجدت الجبال تحيط بها من كل جانب ، وتحصِّنها ، إلا فجوة واسعة ليس فيها جبال ، جلست أفكر ، وأخيرا أسرعت إلى رسول الله ، واقترحت عليه أن نحفر **«خندقا»** فى هذه الفجوة ، وبذلك تصبح المدينة محصّنة بالجبال وبهذا الخندق ، فلايستطيع جيش الكفار الهجوم عليها ، أو دخولها . وفعلا قبل الرسول الفكرة ، وبدأنا حفر الخندق . ولما جاءت جيوش الكفار ، وقفت خارج المدينة ، ولم تستطع الهجوم عليها ، ولما يئسوا ، انسحبوا مهزومين ، وعادوا من حيث أتوا ، ولم يفكروا بعد ذلك فى غزو المدينة مطلقا ، وهذا أدى إلى استقرار المسلمين فى المدينة ، وتفرغهم لنشر دين الله فى الأرض .

أتعلمون متى أسلمت ؟ لقد دخلت فى الإسلام فى السنة الأولى من الهجرة ، وكنت أول من أسلم من « **الفرس** » كما كان « **بلال** » أول من أسلم من « **الحبشة** » « **وصهيب** » أول من أسلم من « **الروم** » .

**ظللت ملازما لرسول الله ، أتعلم منه ، وأجاهد معه ، ومن بعده كنت مع أبى بكر ثم عمر بن الخطاب .**

**أتعلمون ماذا حدث لى فى خلافة عمر بن الخطاب ؟**

لقد أرسلنى عمر إلى بلادى الأولى « **الفرس** » عَيَّنَنِى حاكما على « **المدائن** » وأميرا لها ، وهكذا شاء الله أن أرجع إلى بلادى بعد أن خرجت منها أبحث عن الحقيقة . التى وجدتها فى المدينة المنورة ، فى الإسلام على يدىْ رسول الله محمد ﷺ .

لعلكم تسألون : لماذا كنت ألبس الثياب الخشنة القصيرة ، وآكل خبز الشعير ، وأشترى الخوص وأصنّعه ثم أبيعه وآكل من ثمنه ، مع أنى كنت أميرا على « **المدائن** » ومرتبى خمسة آلاف درهم ؟

فأقول لكم : أنا تلميذ من مدرسة رسول الله محمد ، أقتدى به وبأصحابه ، أخشى الله، ولذلك لا أحب أن آكل إلا من عمل يدى ، ولا أحب أن أُفْتن بزخارف الدنيا ، فأنا زاهد متواضع ، أتصدق بكل دخلى على المحتاجين والفقراء وأبناء المجاهدين ، ويكفينى من الدنيا ، ما أسدّ به جوعى ، وأستر جسمى .

ولعلكم تعجبون إذا قلت لكم : إننى ذات يوم كنت أسير فى شوارع « **المدائن** » أتفقد أحوال رعيتى ، إذ لقينى رجل شامىّ يحمل حملا ثقيلا - وكان لا يعرفنى - فظن أننى من الفقراء ، وطلب منى أن أحمل عنه حمله ، وأوصله إلى منزله ، وسيعطينى أجرا على ذلك ، فوافقت ، وسرت فى الطريق أحمل على ظهرى متاع الشامى وحين رآنى بعض الناس ، أسرعوا نحوى ، يريدون أخذ الحمل عنى ، فسألهم الشامىّ من هذا ؟ قالوا له هذا أمير البلاد ،خجل الشامى وأخذ يعتذر لى ، ولما أراد أخذ الحمل عنى رفضت ، حتى أوصّله إلى بيته كمااتفقنا ، فأنا لا أحب أن أتفق على شىء ولا أفعله ، أو أعطى وعدا ولا أوفى به .

**أتريدون أن تعرفوا مقدار زهدى فى الدنيا ؟ اسمعوا هذه** الحكاية :-

دخل علىّ **«سعد بن أبى وقاص»** وأنا مريض ، فوجدنى أبكى ، ولما سألنى لماذا أبكى ورسول الله قد توفى وهو عنى راض ؟ قلت له : أنا لا أبكى خوفا من الموت ، ولا حرصا على الدنيا ، ولكنّ رسول الله عهد إلينا عهدا فقال **«ليكن حظُّ أحِدكُم من الدنيا مثل زاد الراكب»** . وهأنذا وحولى هذه الأشياء . وحين نظر « سعد » وجد حولى إناء للطعام وإناء لماء الشرب والوضوء وهذا كل ما كنت أملك من الدنيا .

**فهل عرفتم من أنا ؟**

**أنا سلمان الفارسى** . الباحث عن الحقيقة ، وصاحب فكرة حفر الخندق الذى حدثتكم عنه ، عشت فى الدنيا عمرا طويلا ، ولم أترك لكم من أولادى إلا ثلاث-بنات ، واحدة **«بأصبهان»** واثنتان أقامتا بمصر . وخلفت لكم قصة حياتى ، لعلكم تستفيدون منها ، ولكم فى رسول اللهِ قدوة أفضل .

فسلام على سلمان الفارسى ، يوم بحث عن الحقيقة ، ويوم اهتدى إليها ، ويوم أشار بحفر الخندق ، ويوم عاد إلى بلده ، وهناك لقى ربه سنة ٣٥ هـ تقريبا .

# « أنا من اشترى نفسه بماله »

# ( ٤ )

كنت أحمر شديد الحمرة ، كثير شعر الرأس ، لست بالطويل ولا بالقصير ، لكننى إلى القصر أقرب . خفيف الروح ، حاضر النكتة .

رآنى يوما رسول الله ﷺ وأنا آكل رُطَباً ، وفى إحدى عينى رمد . فقال لى ضاحكا : أتأكل الرطب وفى عينك رمد ؟! فأجبته : وأى بأس ، إنى آكله بعينى الأخرى .

حين طعن « أبو لؤلؤة » بخنجره الخليفة عمر بن الخطاب ، وهو يصلى بالناس صلاة الفجر ، وأحس بدنو أجله ، اختارنى لأصلى إماما بالمسلمين ، حتى يتم اختيار الخليفة من بعده . ولما مات عمر صليت عليه ، تنفيذا لوصيته .

قال لى عمر بن الخطاب يوما ، وقد لاحظ سخائى ، وكرمى الشديد مع المحتاجين « أراك تطعم كثيرا ، حتى إنك لتسرف . فقلت له : أنا لا أنفق مالى إلا فى حق ، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **خياركم من أطعم الطعام** » .

على أية حال ، سأحكى لكم قصتى ، لتعرفوا من أنا ؟ .

كان والدى من العرب الذين هاجروا إلى العراق قبل ظهور الإسلام بكثير ، وعمل مع كسرى ملك الفرس حاكما من قبله على «**الأُبُلَّة**» وكان قصره قائما على شاطىء الفرات ، مما يلى الجزيرة والموصل .

فى هذا القصر العظيم ولدت بين النعيم والثراء ، الذى كان حولى من كل جانب ... لكن سنوات عمرى فى هذا القصر كانت قليلة .

فذات يوم ، وأنا طفل ، هاجمتنا الروم ، وقتلت كثيرا ، وأسرت عددا من النساء والأطفال . وكنت أنا واحدا من هؤلاء الأطفال الذين أسرهم الروم .

وانتقلت بذلك من العِزّ والجاه ، والنعيم ، إلى حياة البؤس والذل والعبودية . ومكثت فى بلاد الروم بقية طفولتى وجزءاً من شبابى . حتى تعلمت كثيرا من لغتهم ، وكدت أنسى لغتى العربية ، وصرت ألكن ، لا أجيد الحديث بالعربية الفصحى .

وشاءت إرادة الله أن تسوقنى إلى أرض الحجاز ، فاشترانى رجل من قبيلة « **كلب** » ثم باعنى لرجل من مكة اسمه « **عبدالله بن جُدعان** » .

لاحظ سيدى « عبدالله » أننى شاب ذكى ، أحب العمل ، وأتقن كل ما أعمل ، وأخلص فى خدمته ، وأعامل الناس بخلق حسن . فأحبنى ، ووثق بى ، وأسند إلى أمر تجارته .

ومرت السنوات سنة بعد أخرى ، وأنا أتاجر فى مال سيدى . مرة أسافر إلى الشام بالتجارة ، ومرة إلى أرض اليمن ، أو إلى الحبشة . حتى حققت له أرباحا طائلة ، وثروة ضخمة .

وفى أحد الأيام التى لا أنساها . نادانى سيدى ، وأجلسنى بجواره ، وقال لى فى محبة وود : لقد أثبت طوال وجودك عندى ، أنك رجل وفىّ ، مخلص وأمين ، ذكى تحسن التفكير والتجارة ، وتعامل الناس بحب ومودة ، حتى أحبوك جميعا . وبفضلك وجهدك جمعت كل هذه الثروة الضخمة . ومثلك لم يخلق للعبودية ؛ لذلك قررت أن تكون صديقى ، وشريكى فى التجارة ، وأنت حر من الآن .

كانت فرحتى بحريتى لاتستطيعون تصورها ، فرحة تساوى العمر كله . فما أقسى على النفس الكريمة أن تكون تابعة ذليلة ، أو أن تعيش عبدا لأحد ، حتى لنزواتها وشهواتها هى .

ومن هذا اليوم ، أصبحت حرا ، وشريكا لابن جدعان فى تجارته ، وحين مات ، أصبحت مستقلا فى تجارتى ، حتى صرت من أشهر تجار مكة وأغنيائها . ومع هذا لم أنس الفقراء والمحتاجين ، فكنت كثير العطاء ، ومساعدة المحتاج ، وعون الضعيف والمظلوم .

وهناك يوم آخر لا أنساه ، وكان له الفضل فى أن بلغت المنزلة الكريمة ، التى تسمح لى الآن أن أحدثكم عن نفسى ، وأن تكون حياتى درسا لمن بعدى . « **أتعلمون ما هذا اليوم** ؟ .

إنه يوم أن سمعت أن محمدا بن عبدالله يجلس فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ، يبشر بدين أوحى إليه من السماء ، يدعو الناس إلى التحرر من عبادة النفس ، وعبادة الصنم ، وأن يعبدوا الله الواحد .

محمد بن عبدالله ، ذلك الرجل الذى كان معروفا بين أهل مكة بالصادق الأمين ، وكانت أخلاقه ونبله ، حديث الناس فى كل مكان . وزوجه السيدة خديجة بنت خويلد سيدة قريش ، الطاهرة المصونة ، رجل هذا شأنه ، لابد أن يكون صادقا فيما يدعو إليه ، وأنه حقا رسول الله .

ولم أتردد فى اتخاذ القرار ، وأسرعت إلى دار الأرقم . وهناك وجدت صديقى « **عمار بن ياسر** » على بابها ، يهم بالدخول . فقال لى : ماذا تريد ؟ فأجبته : وماذا تريد أنت ؟ قال : أريد أن أدخل إلى محمد فأسمع مايدعو إليه . قلت له : وأنا أريد ذلك .

ودخلنا دار الأرقم بن أبى الأرقم ، وفيها جلسنا بين يدى رسول الله ، وعرض علينا الإسلام ، فأسلمنا . وقضينا بقية يومنا بداخلها ، ثم لما جاء الليل ، خرجنا متخفيين من كفار مكة .

أتعرفون لماذا خرجنا متخفيين ؟ ذلك لأن الكفار كانت تعذب من يدخل فى دين محمد وتضايقه ، وأنا غريب بين أهلها ، وعشت فيهم عبدا فترة من حياتى ، وليس لى بينهم أهل ولاقبيلة تنصرنى ، وتقف بجوارى . وصديقى « **عمار** » هو الآخر من أسرة فقيرة ، لا يحسبون لها حسابا .

منذ ذلك اليوم السعيد ، الذى اهتديت فيه إلى نور الإسلام ، لم أفارق رسول الله ﷺ يوما ، ولاغبت عن مجلسه . أتعلّم منه ، وأخشى عليه من كفار مكة وأذاهم . حتى أحبنى رسول الله حبا كبيرا ، ورضى عنى ، وكنّانى « **بأبى يحيى** » .

لكن شيئا كان يؤرقنى ويتعبنى ، ويشغل بالى منذ أسلمت . وهو : لماذا نظل نخفى إسلامنا ولا نعلنه على الملأ من كفار مكة ؟! إننا على حق ، وهم على باطل . فلماذا يعلنون كفرهم ، ونحن نخفى إسلامنا ؟! .

ولاحظ بعض المسلمين هذا الهمّ الذى يتعبنى ، ورغبتى الشديدة فى إعلان إسلامى ، مهما فعلت قريش بى . فحاولوا تهدئتى وطمأنتى ، إلى أن يجىء الوقت المناسب .

لكننى فى الحقيقة لم أعد أحتمل الصبر على إخفاء إسلامى . فخرجت ذات صباح على أهل مكة ، وأعلنت إسلامى . لذلك قال بعضهم : إن أول من أظهر إسلامه سبعة : رسول الله ، وأبوبكر ، وبلال ، وأنا ، وخباب ، وعمار وأمه .

أتعلمون ماذا فعل بى كفار مكة ؟ سأترك خالد بن الوليد قبل إسلامه يحدثكم عما لقيت من تعذيب . يقول خالد : لقد رأى منى عجبا . رأى كفار مكة يعذبونى بالنار والحديد والسياط ، وأنا لا أبالى بما يصيبنى من ألم ، بل وأتحدث إلى من يعذبونى بهدوء فى بعض شئونهم ، حتى يغمى علىّ من شدة التعذيب ، وحين أفيق ، يعاودون تعذيبهم ، وأنا أعاود الحديث إليهم .

أتعرفون لماذا كنت على هذه الحال ؟ لأن النفس إذا صدق إيمانها بربها ورسوله ، استعذبت كل ألم فى سبيل إيمانها وعقيدتها .

ولما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من تعذيب كفار قريش ، أشار علينا بالهجرة إلى الحبشة . لكننى لم أهاجر معهم ، رغم ما كنت ألا قيه من عذاب ، وفضلت البقاء فى مكة بالقرب من رسول الله . فأنا لا أستطيع أبدا البعد عنه .

لقد عشت حياتى فى الإسلام ملازما للرسول . لم يشهد مشهدا قط إلا كنت حاضره . ولم يبايع بيعة قط إلا كنت حاضرها . ولم يسر سرية قط ، إلا كنت حاضرها . ولا غزا غزوة قط إلا كنت فيها عن يمينه أو شماله . وما خاف المسلمون أمامهم ، إلا كنت أمامهم . ولا خافوا وراءهم ، إلا كنت وراءهم . وما جعلت رسول الله ﷺ بينى وبين العدو أبدا حتى لقى ربه .

وتمضى بنا السنوات فى مكة ، حتى يأذن رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة . فاستأذنته فى أن أبقى بمكة إلى جواره ، وأن أكون آخر من يهاجر منها .

ولا أخفى عليكم ، أننى كنت أطمع فى أن أهاجر مع رسول الله ، وأكون ثالث ثلاثة ، الرسول وأبوبكر وأنا . لكن الله أراد غير

ما أردت ، وطمعت فيه . فهاجر رسول الله ﷺ وصاحبه أبوبكر من مكة إلى المدينة ، وبقيت وحدى .

لم أتحمل بقائى فى مكة بعيدا عن رسول الله ، فأخذت أعد العدة للحاق به . لكن الكفار كشفوا خطتى ، وألقوا القبض على ، وأذاقونى من العذاب ، أشكالا وألوانا . وأخيرا تمكنت من الهرب ، وامتطيت ناقتى ، وانطلقت فى الصحراء مهاجرا إلى المدينة ، لألحق برسول الله .

وفجأة تلفت خلفى ، فوجدت مجموعة من فرسان كفار مكة توشك أن تلحق بى ، لتردنى ثانية حيث كنت . ولما اقتربوا منى صحت فيهم : تعلمون جيدا أننى أمهر رجل فى الرماية ، من يقترب منى سأرميه بسهم يقضى على حياته .

تردد فرسان قريش ، فهم يعلمون مدى مهارتى فى الرمى ، وإصابة الهدف ، وأننى صادق فيما أقول ، ومصمم عليه . صرخ أحدهم : لقد جئت إلى مكة عبدا فقيرا ، فصرت فينا غنيا مشهورا . لن نتركك تهرب بمالك ، مستحيل . فقلت لهم : أنا لم أحمل مالى معى . لقد تركت كل ثروتى ومالى فى مكة . هل أدلكم عليه ، وتتركونى وشأنى ؟ قالوا نعم . فدللتهم على مكان ثروتى ، فأسرعوا عائدين ، وواصلت أنا طريقى إلى المدينة .

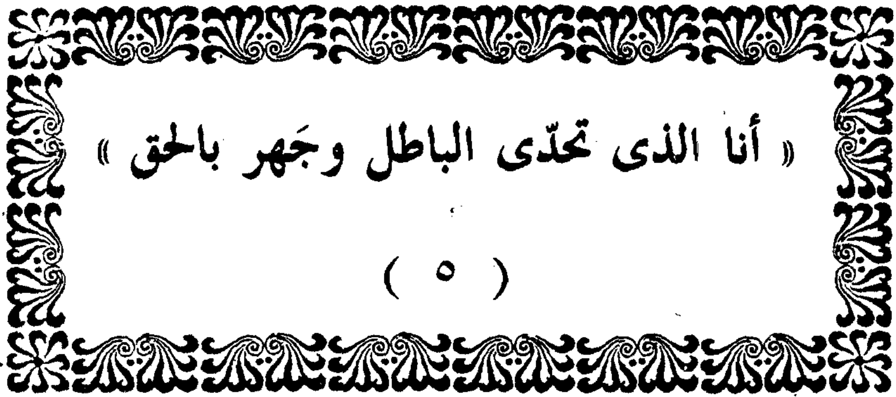
وعندما التقيت برسول الله ﷺ ، سألنى عما فعلتُ مع قريش ، فقلت له : لم يتركونى إلا بعد أن اشتريت نفسى منهم بكل ثروتى ومالى . فتبسم الرسول وقال لى : « **ربح البيع أبايحيى ، ربح البيع أبايحيى** » وصدق الله إذ يقول : ﴿ **ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ، والله رءوف بالعباد** ﴾ صدق الله العظيم .

ومن هنا بدأت حياتى فى المدينة المنورة مع رسول الله ﷺ ، والذين آمنوا من المهاجرين والأنصار . نرسى قواعد الأمة الإسلامية ، على دعائم من الإيمان والصدق . وكانت لى مساهمات فى غزوة بدر ، وأحد ، والخندق ، وشهدت المشاهد كلها مع رسول الله ما تخلفت .

ويوم انتقل رسول الله ﷺ إلى جوار ربه ، وقفت مع أبى بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب من بعده ثم مع عثمان بن عفان . وفى خلافة على بن أبى طالب ، لقيت ربى سنة ٣٨ هـ وفى أرض البقيع بالمدينة المنورة ، كان قبرى .

**أعرفتم الآن من أنا ؟**

**أنا صهيب بن سنان** . لم أقحم نفسى يوما فى أمور الخلافة ، أو تَقَلُّدِ المناصب ، أو حتى رواية الحديث . وكنت أقول للناس : « هلموا أحدثكم عن مغازينا ، وعما تعلمت من رسول الله عليه الصلاة والسلام ، أما أن أقول : قال رسول الله .. فلا » .



# « أنا الذى تحدّى الباطل وجَهر بالحق »

## ( ٥ )

لونى أسمر ، طويل القامة ، أبيض الرأس واللحية . تمرّدت على عبادة الأصنام ، قبل أن يظهر الإسلام بثلاث سنوات . لأننى رأيتها باطلا ، والباطل لا أتردد فى إنكاره ، ومحاربته .

حين أسلمت كان عدد المسلمين يعدّ على أصابع اليد الواحدة ، فأنا من المسلمين الأول ... يومها ، نظر إلىَّ رسول الله ﷺ متعجبا لإسلامى . ثم قال: «**إن الله يهدى من يشاء**»... أتعلمون سبب تعجب الرسول من إسلامى ؟! عند حديثى عن قبيلتى ستدركون سبب ذلك .

أنا الذى قال عنى رسول الله ﷺ : « **يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده** » وصدق رسول الله فيما قال .

بايعت رسول الله على أن لاتأخذنى فى الله لومة لائم ، وعلى أن أقول الحق ولو كان مرًّا ... وحافظت على هذا العهد طول حياتى .

حين دخلت فى الإسلام ، أسلمت كل قبيلتى ، بل وأسلمت قبيلة أخرى تسمى [**أسلمُ**] أسلموا على يدى .

ودعونى أحكى لكم عن حياتى . لعل ذلك يساعدكم على معرفة ... من أنا ؟

أنا .. من قبيلة كانت تعيش بعيدة عن مكة ، على طريق تمرُّ عليه قوافل تجارة قريش إلى الشام . وكانت قبيلتى معروفة بالسطو والسلب والنهب ، كل الناس يعرفون ذلك ، ويخشون على أنفسهم منها .

فى هذه القبيلة نشأت ، أشاركهم حياتهم ، وأعبد مثلهم الأصنام ، لكننى كنت دائما أفكر فى هذه الأصنام التى نسجد لها ، ونتخذها آلهة لنا ، وهى لاتنفع ولا تضر. حتى نفسها ، فنحن الذين

صنعناها ، ونحن موجودون قبل أن توجد ، فكيف تكون آلهة ؟!!
ولما أدركت أنها باطل ، وأن عبادتنا لها غباء ، تمردت على عبادتها ، وعبدت الله الذى خلق كل شيء !

وذات يوم ، سمعت أن رسولا بعث فى مكة ، يأتيه الوحى من الله ، فناديت على أخى ، وطلبت منه أن يذهب فورا إلى مكة ، ويقابل هذا النبى ، ويسمع ما يدعو إليه ، ويأتينى بأخباره .

وعاد أخى ليقول لى : لقد التقيت بالنبى ، ورأيته يأمر بمكارم الأخلاق ، ويقول كلاما ما هو بالشِّعر . فقلت له : ياأخى ، لم ترح نفسى ، ولم تأتنى بما أريد . لابد أن أذهب إليه .

أخذت زادى من ماء وطعام ، وركبت دابتى ، وذهبت إلى مكة . وهناك التقيت برسول الله ، وسألته عما أوحى إليه من ربه ، ولما حدثنى عن الإسلام ، وجدته يدعو إلى الحق ، ويخلص الناس من عبودية الصنم والنفس ، بسطت يدى مسلما لله ورسوله . وقال لى رسول الله ﷺ : « **ارجع إلى قومك ، واشرح لهم الإسلام ، حتى يأتيك أمرى** » .

قلت يا رسول الله ، والذى نفسى بيده ، لا أرجع إلى قومى حتى أعلن إسلامى فى المسجد . إن ما تدعو إليه حق ، وعبادة الأصنام باطل . فكيف أخفى الحق أمام الباطل ... وخرجت إلى المسجد ، وناديت بأعلى صوتى : أشهد أن لا آله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ... ناديت بها وأنا غريب فى مكة .

وسرعان ما تجمع الكفار حولى ، وانهالوا علىَّ ضربا ورَكْلاً ، حتى سقطت على الأرض ، وكادوا يقتلونى . لولا أن جاء العباس عم النبى ، وخلَّصنى منهم وقال لهم : إن هذا الرجل من قبيلة تمرُّ عليها

تجارتكم ، ألا تخشون أن يحرضها ، فتقطع الطريق على قوافلكم ؟!

ولما عدت إلى قبيلتى ، أخذت أشرح لهم ما يدعو إليه محمد ، وأرغبهم فى الإسلام ، فأسلموا واحدا بعد واحد ، حتى دخلوا جميعا فى دين الله . وأصبح قطّاع الطريق ، دعاة إلى السلام والخير . بل ودعوت قبيلة أخرى إلى الإسلام ، تسمى قبيلة .«**أسلم**» فأسلموا جميعا .

ولعلكم تعجبون إذا قلت لكم : إننى لم أشارك المسلمين فى غزوتى « **بدر** » و« **أحد** » لأننى هاجرت إلى المدينة بعدهما . هاجرت أنا وقبيلتى وقبيلة [ أسلم ] ودخلنا المدينة فى موكب كبير ، نهلل ونكبر .

وحين التقينا برسول الله ﷺ ، نظر إلينا ، وقال عن قبيلتى « **غفر الله لها** » ثم قال عن قبيلة أسلم « **أسْلم سالمها الله** »

عشت فى المدينة المنورة إلى جوار رسول الله ﷺ ، آخذ عنه ، وأتعلم منه . إلى أن كان ذات يوم فى شهر رمضان ، من السنة التاسعة للهجرة . أتعلمون ماذا حدث ؟

كان اليوم شديد الحرارة ، وأشعة الشمس المحرقة تشوى الأجساد وتلسع الوجوه . والمسلمون فى عُسرة من المال . ينتظرون موعد حصاد الزرع ، وجنى الثمر . وإذا برسول الله ﷺ ، يدعو إلى الاستعداد للجهاد ، وتجهيز الجيش لمواجهة الروم ، الذين تجمعوا على أطراف الجزيرة العربية ، يريدون الحرب .

وبدأ جيش المسلمين الزحف لصد الروم ، والحر شديد ، والصحراء ملتهبة ، والطريق طويل . وكلما بعد الجيش عن المدينة ، خارت عزائم بعض الرجال ، فلا يواصل السير ، ويتخلف عائدا من

حيث أتى . وكلما تأخر رجل ، يقول المسلمون يا رسول الله : تخلف فلان . فيقول لهم : دعوه ، فإن يك فيه خير ، فسيلحقه الله بكم . وإن يك غير ذلك ، أراحكم الله منه .

وكنت واحدا ممن خرج فى الجيش مع رسول الله وأصحابه . لكن بعيرى حلّ به الضعف ، من شدة الحر والجوع والعطش ، وأبطأ فى السير . وحاولت بشتى الطرق أن أدفعه للسير دون جدوى . وبذلك تخلفت عن ركب المسلمين . فقالوا لرسول الله : أننى تخلفت .

ولما وجدت الجيش يبتعد عنى كثيرا ، وخفت أن أضل طريقه ، تركت بعيرى ، وحملت متاعى على ظهرى ، ومشيت على قدمىّ مسرعا لألحق به . ورمال الصحراء تكاد تبتلع قدمىّ ، وتحرق جلدى ، ومتاعى يثقل ظهرى ، والعرق يتصبب من جسمى فيبلل ردائى .... لكن ما أسعدنى بالألم والمشقة فى سبيل الله .

قربت المسافة بينى وبين الجيش ، فرآنى بعض المسلمين ، لكنهم لم يتبينوا ملامح وجهى . فقالوا لرسول الله ﷺ : هذا رجل قادم ، يمشى على الطريق وحده . فقال رسول الله : « كُنْ ... » وذكر اسمى .

وما إن وصلت إليهم حتى صاح أحدهم : إنه والله [ فلان ] وذكر اسمى . ولما رآنى رسول الله ، علت الابتسامة وجهه ، وقال يطلب الرحمة لى من ربى ، وذكر أنى أمشى وحدى . وأموت وحدى . وأبعث وحدى .

ولم يطل عهد الرسول بالدنيا بعد هذه الغزوة – غزوة تبوك – ولحق بربه راضيا مرضيا . ومكثت فى عهد خليفته الأول «**أبوبكر**

**الصديق»** ومن بعده فى عهد **«عمر بن الخطاب»** أعلم الناس أمور الدين ، وأساهم فى نصرة الإسلام ، ومقاومة أعدائه . إلى أن استقر بى المقام فى الشام .

وتلفت حولى على طول الدولة الإسلامية وعرضها . فأحسست بخطر شديد يزحف عليها ، ويتهدد ما قامت عليه من حق وعدل ، وإعلاء لكلمة الله ، ومساواة بين الناس . ووجدت أموال المسلمين تستأثر بها فئة منهم دون سائر الناس . والمجد الشخصى يبحث عنه الحكام والأمراء ، وعرض الدنيا وزخارفها ، يسعى إليه كثيرون ، ومظاهر البذخ والثراء توشك أن تفتن الفقراء والضعفاء .

باطل أراه ، ودينى يفرض علىَّ مواجهة الباطل وتحديه وقهره . وقررت أن أحمل سيفى لأواجه هذا الباطل ، وأقاتل أصحابه . لكنى تذكرت نصيحة رسول الله ﷺ ، يوم قال لى : « **كيف أنت إذا أدركك أمراء يستأثرون بالفَىْء ؟ فأجبته : إذًا والذى بعثك بالحق ، لأضربنّ بسيفى . فقال : أفلا أدُلُّكَ على خير من ذلك ؟ اصبر حتى تلقانى** »

وأدركت أنه لاينبغى أن أرفع سيفى فى وجه مسلم . فالله يقول: ﴿**وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ** .﴾ ولم أفعل ما يفعله بعض المسلمين اليوم . يحملون السلاح ، ويقاتل بعضهم بعضا ، وإنما التزمت بقول الله تعالى ، ووصية رسوله . وقررت أن أجعل الكلمة العادلة ، والنصح والإرشاد سلاحى .

خرجت إلى الأمراء والأثرياء ، أدعوهم إلى العدل ، وأذكرهم بأن مال المسلمين لصالح المسلمين . وليس من حق فئة دون أخرى ، وأحذر من جمع الثروات ، وكنز المال ، ونسيان حقوق الفقراء . ورفعت شعارى قول الله تعالى : ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة**

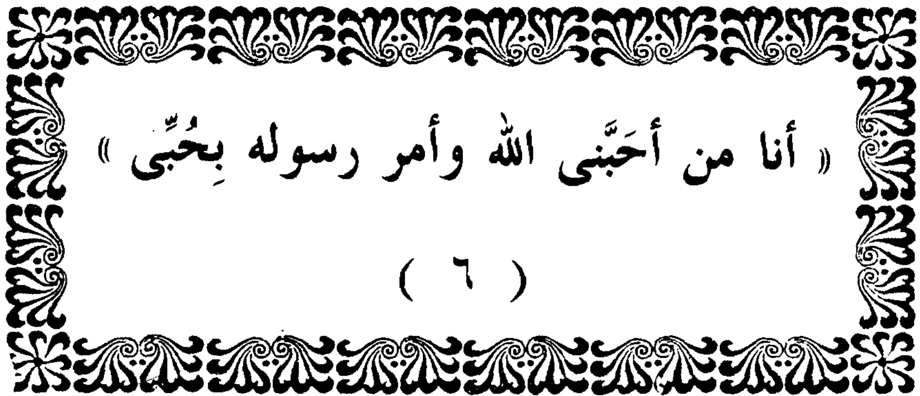
**ولاينفقونها فى سبيل الله ، فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ وكانت صرختى : بَشِّر الكانزين ، الذين يكنزون الذهب والفضة ، بمكاوٍ من نار ، تكوى بها جباههم وجنوبهم يوم القيامة .

ويفزع «**معاوية**» حاكم الشام من دعوتى . ويستدعينى ليناقشنى . فسألته عن بيته الذى كان يسكنه قبل توليه الحكم ، وكيف صار اليوم قصورا . وعن ثروته قبل الحكم ، وكيف صارت كنوزا . وعن الفقراء من حوله ، ولِمَ يحرمون من نصيبهم فى بيت المال . وعن حاشيته وحياة البذخ التى هم فيها . وطالبتهم جميعا أن يردوا ذلك إلى بيت مال المسلمين ، ولهم رواتبهم ، بقدر حاجتهم ، دون إسراف أو تقتير .

واستمرت دعوتى . إلى أن كتب « معاوية » إلى الخليفة « عثمان ابن عفان » يشكونى ، ويدَّعى أننى أحرض الناس للثورة عليه . فاستدعانى الخليفة ، لأعود إلى المدينة المنورة ، وأترك الشام .

عدت إلى المدينة امتثالا لأمر الخليفة . وبقيت فيها ، أرفع شعارى « بشر الكانزين الذين يكنزون الذهب والفضة بمكاو من نار ... » وأدعو الناس إلى دين الله ، والبعد عن زخارف الدنيا، وألا يجعلوها همهم الأول والأخير ، وألا يفتنوا بها . حتى ضاقت حاشية الخليفة بى وبدعوتى ، وأوقعوا بينى وبينه . فطلبت من الخليفة أن يأذن لى فى الذهاب إلى قرية تسمى « **الربذة**» قريبة من المدينة ، وأن أعيش فيها بقية حياتى . فأذن لى .

أتعلمون لماذا كنت ثائرا على من يستغلون الحكم لصالحهم الشخصى ؟ وعلى من يكنزون الذهب والفضة ، ويحتكرون الثروة لأنفسهم ؟



# « أنا من أحَبَّنى الله وأمر رسوله بِحُبِّى »

## ( ٦ )

لأننى كنت أخاف على الدولة الإسلامية من إغراءات الحكم والمال ، واستغلالهما فى المنفعة الخاصة ، لا لصالح عامة المسلمين وفقرائهم . فلطالما سمعت رسول الله ﷺ يحذر من إغراءات الإمارة والحكم والمال .

لقد عشت حياتى زاهدا فى عرض الدنيا ، متمردا على الباطل . رآنى يوما صاحب لى ألبس ثوبا قديما ، فسألنى : أليس لك ثوب غير هذا ؟ لقد رأيت معك منذ أيام ثوبين جديدين !! فقلت له : نعم ، لقد أعطيتهما لمن هو أحوج إليهما منى . فقال لى : والله إنك لمحتاج إليهما ...

وجاءتنى سكرة الموت بالحق ، وزوجتى بجوارى تبكى . فقلت لها : لم تبكين والموت حق ؟! فقالت: أبكى لأنك تموت ، وليس عندى ثوب يصلح لكفنك . فقلت لها : اطمئنى ، لا تبكى . فإنى سمعت رسول الله ﷺ ذات يوم وأنا عنده فى نفر من أصحابه يقول : « **ليموتنَّ رجل منكم بِفَلَاةٍ من الأرض ، تشهده عصابة (جماعة) من المؤمنين** » وكل من كان معى فى ذلك المجلس مات فى جماعة ، وفى قرية . ولم يبق منهم غيرى ، وهأنذا أموت وحدى فى فلاة من الأرض .

وطلبت من زوجتى أن تراقب الطريق ، فستطلع عصابة من المؤمنين ، فإنى والله ماكَذَبت ولا كُذِّبت . ثم فاضت روحى إلى بارئها . وظهرت القافلة

كان فى القافلة الصحابى الجليل «**عبدالله بن مسعود**» . وحين شاهدوا جسدا ممددا على الطريق ، وبجواره امرأة ، أقبلوا نحوها ، فطلبت منهم أن يكفنونى ، ويعينوها على دفنى . وما كاد ابن مسعود ينظر إلى وجهى ، حتى عرفنى . ففاضت عيناه بالدموع وقال :

صدق رسول الله ﷺ « **تمشى وحدك . وتموت وحدك . وتبعث وحدك** » ثم صلوا على ، وقاموا بدفنى .

هذه قصة حياتى ، فهل أكشف لكم عن اسمى ؟ أم عرفتمونى ؟

**أنا ... أبو ذر الغفارى**

قلت لهم يوم عرضوا علىَّ أن أتولى حكم إمارة من إمارات العراق : لا .. والله لن تميلوا علىَّ بدنياكم أبدا .

أنا جسمى طويل وضخم ، قوى ، أسود اللون ، غزير الشعر ، فارس ماهر يقولون عنى : إننى كنت حكيما ، عميق التفكير ، شديد الحب لله ورسوله .

وّلانى رسول الله ﷺ يوما إحدى الإمارات . فلما عدت ، سألنى : كيف وجدت الإمارة ؟ فأجبت : لقد جعلتنى الإمارة ، أنظر إلى نفسى ، كما لو كنت فوق الناس ، وهم جميعا دونى ... والذى بعثك بالحق ، لا أَتَأَمَّرَنَّ على اثنين بعد اليوم أبدا » .

فأنا رجل صادق مع نفسى ، أعرف مواطن القوة فيها فأنميها ، وأعرف مواضع الضعف فأتجنبها . وحين توليت الإمارة ، أصابنى الزهو والغرور ، فعرفت أننى لاأصلح لها ، حتى أجنِّب نفسى ضَعفها . فلطالما سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن السعيد لمن جُنِّب الفتن** » .

أنا الذى زوَّجنى رسول الله ابنة عمه «**ضُباعَةَ بنت الزبير بن عبدالمطلب**» بعد أن رفض عبدالرحمن بن عوف ، أن يزوجنى ابنته !

قال عبدالله بن مسعود عن موقفى يوم غزوة « بدر » ( لقد شهد منى موقفا ، تمنَّى لو أنه كان صاحبه ، لكان ذلك أحب إليه مما فى الأرض جميعا ) وقالوا : إننى أول من قاتل على فرس فى سبيل الله . كان ذلك فى غزوة « بدر » .

## فهل تريدون أن تعرفوا من أنا ؟

أنا من قبيلة تسمى [بهراء] إحدى قبائل اليمن . وأبى «**عمرو ابن مالك**» أحد شيوخها . نشأت على حب الفروسية ، وتَعَلَّم فنون الحرب ، حتى صرت فارساً لا يقهر . .

ذات يوم – قبل أن أعرف الإسلام – حدثت مشادة بينى وبين رجل من قبيلة أخرى ، فقتلته ، واضطررت إلى الهروب خوفا من الثأر الذى تطالب به قبيلته ، فاتجهت إلى « مكة » . وهناك تحالفت مع رجل من زعمائها يسمي « الأسود بن عبديغوث » فأحبنى ، وتبنّانى ، ونسبنى إليه ، فحلّ اسْمُهُ مكان اسم أبى ، ... ولما نزل قول الله تعالى ، ينسخ التبنّى ﴿ **ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله** ﴾ حملت اسم أبى مرة أخرى .

كنت لم أبلغ الثلاثين من عمرى ، حين بعث الله محمدا بن عبدالله رسولا إلى الناس ، يهديهم إلى الحق والخير . فهدانى الله إلى الإسلام ، وكنت ممن كان لهم السبق فى الإيمان بالله ورسوله .

ورغم مالقيت من إيذاء كفار قريش ، وتعذيبهم ، ومحاولاتهم المستمرة لإعادتى إلى الكفر والضلال مرة أخرى . إلا أننى تحملت كل هذا ، بنفس مطمئنة وإيمان لا يتزعزع . بل كلما زادوا فى تعذيبى ، ازداد إيمانى ، وتمسكى بدين الله .

أتعرفون لماذا ؟ لأننى أحببت الإسلام . الدين الحق . والحب عندى إيثار وتضحية ومسئولية . وهكذا عشت حياتى فى الإسلام .

ولما رأى رسول الله ﷺ ، مايتعرض له المسلمون فى مكة ، من شدائد وآلام ، أذن لهم بالهجرة إلى الحبشة ، وكنت واحدا ممن هاجروا إليها . وحين عدنا إلى مكة بعد إسلام « عمر بن الخطاب » وجدناها لازالت معاندة للإسلام والمسلمين ، مُصِرَّة على الكفر والضلال .

وكانت إرادة الله ، والإذن لرسوله بالهجرة إلى «**المدينة**» فهاجر وبقيت فى مكة ، أتحيَّن الفرصة التى تمكننى من الهجرة ، واللحاق به .

عشت فى مكة بعد هجرة الرسول ﷺ ، وكنت ألتقى بصديق مسلم ، يسمى «**عتبة بن غزوان**» نفكر فى وسيلة للهجرة إلى المدينة ، ويشكو كل منا لصاحبه ما يلاقيه من آلام ، وهَمٍّ ، واضطهاد من كفار مكة .

وذات يوم ، جاءت الفرصة . سمعنا بخروج قافلة لقريش ، وعلمنا أنها ستمر قريبا من المدينة المنورة وهى فى طريقها . أسرعنا ، وجمعنا أمتعتنا ، وخرجنا مع القافلة ، وفى نيتنا أن نفرَّ إلى المدينة ، عندما تكون القافلة قريبة منها ، ونحتمى بالمسلمين هناك ... وتم لنا ما أردنا .

عشت فى المدينة المنورة بجوار رسول الله ﷺ ، وأصحابه من المهاجرين والأنصار . وازداد حبى لرسول الله ، وازداد إحساسى بمسئوليتى فى حمايته ، وحماية الدعوة . فما كنت أسمع حدثا ، أو هرجا أو فزعا ، إلا وترانى أُسْرع من الريح ، متجها إلى مكان رسول الله ، واقفاً على بابه ، أو بجواره ، راكبا فرسى ، ممسكا بسيفى ، حتى أحميه من أى خطر . وكفى بالله خير الحافظين .

أظنكم فى شوق إلى معرفة الموقف الذى وقفته ، وتمنَّى عبدالله ابن مسعود أن لو كان هو صاحبه ؟

كان ذلك يوم الاستعداد لغزوة « بدر » . حين جمعت قريش فرسانها ، وزحفت نحونا فى المدينة المنورة ، تريد حربنا ، والقضاء على الإسلام والمسلمين .

يومها .. اجتمع رسول الله ﷺ بأصحابه ، يستشيرهم فى أمر مواجهة جيش الكفار ، وقال : « **أشيروا على أيها الناس** » .

وتكلم أبوبكر الصديق ، وتحدث « عمر بن الخطاب »

فأحسنا . فما كان لى أن أتكلم قبلهما ، اعترافا بمكانتهما وقدرهما فى الإسلام . ثم تكلمت قائلا :

« يا رسول الله ... أمض لما أراك الله ، فنحن معك . والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ( اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا هاهنا قاعدون ) بل نقول لك : اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون . والذى بعثك بالحق نبيا ، لو سرت بنا إلى بِرْك الغماد ، لجالدنا معك من دونه ، حتى تبلغه . ولنقاتلن عن يمينك ، وعن يسارك ، وبين يديك ، ومن خلفك ، حتى يفتح الله لك » .

فعلا وجهه البشر ، ودعا لى .. ثم قال : « **سيروا وأبشروا** ..»

أتعلمون لماذا كان هذا رأيى ؟ ورأى رفاقى ؟ لأن المؤمن لايعرف التخاذل أو التردد فى مواجهة الباطل وتحديه ، ولا يبخل بالمال أو النفس فى سبيل نصرة دين الله الحق ، لأنه يعرف أن الإيمان مسئولية ، والمسئولية سلوك وتبعات وتضحيات .

وكانت غزوة «**بدر الكبرى**» . وكنت أحد فرسانها ، أصول وأجول فوق حصانى ، أصرع أبطال الكفر ، وألقى فى قلوبهم الرعب ، فكانوا يفرون خشية الموت الذى يحمله سيفى . حتى كتب الله النصر للمؤمنين . وخذل كفار قريش . الذين ظنوا أن كثرة عددهم ، سوف تغلب القلة المؤمنة ، ونسوا أن الحق أحق أن يتبع .

تلك الغزوة تلتها غزوات ، لم أتخلف عن واحدة منها ، بل كنت فيها جميعا ، بجوار رسول الله ﷺ : فارسا شجاعا ، خبيرا بفنون المعارك ، لا أبالى حين أقتل مسلما ، على أى جنب كان فى الله مصرعى .

يقول على بن أبى طالب ، كرم الله وجه ، إنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **لم يكن نبىّ إلا أعطى سبعة نجباء وزراء ورفقاء ، إنى أعطيت أربعة عشر** ... » وذكرنى منهم .

لم ينقطع جهادى فى سبيل الله بموت رسول الله ﷺ ، بل استمر فى خلافة أبى بكر الصديق ، ومن بعده « عمر بن الخطاب » فى حروب الردة ، والفتوحات الإسلامية .

ولما قاد « عمرو بن العاص » جيش المسلمين ، لفتح « مصر » وتعذَّر عليه اختراق أسوار حصن « بابليون » أرسل إلى الخليفة « عمر ابن الخطاب» يطلب منه المدد والعون ، فأمده الخليفة بأربعة آلاف جندى ، وعلى رأسهم أربعة من كبار الصحابة ، وكتب إليه « **إنى قد أمددتك بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف منهم رجل مقام الألف ، الزبير بن العوام ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مُخلد ، وذكرنى رابعهم** » قال عنا عمر بن الخطاب ، إن الواحد منا بألف رجل .

كنت ذات يوم جالسا مع بعض أصحابى ، فمرّ علينا رجل ، وخاطبنى وهو يشير إلى عينىّ : طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ . فقلت للرجل : لماذا يتمنى أحدكم مشهدا غيَّبه الله عنه ، ولا يدرى ، لو شهده كيف كان يصير فيه ؟!! والله لقد عاصر رسول الله أقواما ، كبَّهم الله عز وجل على مناخرهم فى جهنم . أو لا تحمدون الله ، الذى جنبكمْ مثل بلائهم ، وأخرجكم مؤمنين بربكم ونبيكم .

لقد عشت بعد رسول الله ﷺ ، وفيا بعهد الإسلام ، محبا لآل بيته . وعندما مات الخليفة عمر بن الخطاب ، واختلف المسلمون

على من يتولى الخلافة ، فريق يؤيد اختيار « **عثمان بن عفان** » وفريق يؤيد اختيار « **على بن أبى طالب** » لا أكتمكم الحقيقة ، فقد كنت أؤيد اختيار « **على بن أبى طالب** » . لكننى قبلت ما انتهى إليه الرأى ، من اختيار « **عثمان بن عفان** » لأننى لا أحب أن يختلف المسلمون ويتقاتلوا وتحدث الفتنة بينهم . فالله سبحانه ، يهب الملك لمن يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء . ثم إن الخلافة والحكم ، تكليف لا تشريف .

ومرت الأيام ... لكننى آثرت أن ألزم دارى ، التى بنيتها قريبا من المدينة المنورة ، فى مكان يسمى [ **الجرف** ] ، أخلو فيها إلى نفسى ، وأستعيد ذكرى أيامى مع رسول الله ، وذكرى حياة عشتها فى نصرة دين الله . فأحمد الله على توفيقه لى ، وأسأله القبول .

أرجوكم ... لاتتساءلوا عن سبب اعتزالى فى دارى ، وبعدى عن المشاركة فى أحداث المسلمين وشئونهم ؟ ولا تظنوا ذلك هروبا من تحمل المسئولية والواجب ؟ وتخلِّياً عن منهجى الذى وهبت له حياتى ، فى الدفاع عن الدين ونصرته ؟ واسمحوا لى أن أعرض لكم وجهة نظرى ، وحالتى ، حتى أزيل علامات الاستفهام من أمامكم .

أنا كما قلت لكم ، كنت ضخم الجسم ، كبير البطن ، وقد جاوز عمرى الستين ، ولم أعد قادرا على المشاركة بقوة وفاعلية فى الحياة . وقد رأيت الفتنة تطل برأسها بين صفوف المسلمين ، وحب السلطان والحكم ، يستولى على بعض النفوس ، وبدأت المؤامرات تدبر ، والمسلم يرفع سيفه فى وجه أخيه المسلم ، فكان لابد لى أن أكون مع فئة ضد فئة ، وكلتاهما مسلمة . فكيف أرضى بهذا . قلت فى نفسى ، **من** منطق دينى وإيمانى :

حرام علىّ **أن** أحارب مسلما ، أو أرفع السيف فى وجهه ، أو أعمل على سفك دمه . فالله يقول : ﴿ **إنما المؤمنون أخوة** ﴾

ولطالما سمعت رسول الله ﷺ يحذر من هذا وأمثاله .

لذلك آثرت العزلة فى دارى ، بعد أن أديت دورى فى مطلع الرسالة ، وآن لى أن أستريح ، ليأخذ غيرى دوره ، فلكل زمان دولة ورجال . وأصبح دوري الآن ، الكلمة والنصيحة .

كان « **بطنى** » سبب علتى ومرضى ، حتى لقيت ربى ، فى سنة ٣٣هـ كما يقولون . وحملوا جسمانى إلى المدينة المنورة ، حيث قبرى

**فهل عرفتم من أنا ؟**

**أنا** ... « **المقداد بن عمرو** » كان اسمى فى الفترة التى تبنانى فيها « الأسود بن عبديغوث » « المقداد بن الأسود » ولما أبطل الإسلام التبنىّ ، عدت إلى اسمى الأول « المقداد بن عمرو » .

قال لى رسول الله ﷺ يوما « **إن الله أمرنى بحبك ، وأنبأنى أنه يحبك** » والله يحب الصادقين .

# « أنا رجل من أهل الجنّة »

( ٧ )

دعوكم من شكلى وجسمى ، فالكل فى مكة كان يعرفنى شابا يرفل فى ثياب الثراء والعزّ ، يتيه بشبابه . يوم كانت مكة تعيش فى ظلّ الأصنام ، وتشرب الخمر ، وتلعب الميسر ، وتئد البنات .

يوم كانت الدماء تروى الصحراء ، فى ظلال العصبية والقبلية ، والرايات الحمر تتحدى الشرف والأخلاق .

فى هذه البيئة ولدت ، ونشأت ، حتى بلغ عمرى سبعة عشر عاما ، يومها ، صَحَت مكة على نداء الحق . وأفزعتها أنوار تكشف الحقيقة ، وتُعرّى الباطل ، وتفضح العقول والأفكار ، وتزلزل جبروت الأصنام ، وتهزّ عروش الجاهلية .

أنا ابن عم السيدة « **آمنة بنت وهب** » والدة رسول الله محمد . وبذلك أعتبر خال الرسول .

كنت إذا قدمت على رسول الله ﷺ ، حيّانى ، وداعبنى . وقال لأصحابه : « **هذا خالى ، فليرنى امرؤ خاله** » .

أنا بطل القادسية ، وفاتح المدائن ، ومؤسس مدينة الكوفة بالعراق .

قالوا عنى : إننى فارس وقائد ماهر ، من قواد المسلمين . كثير البكاء من خشية الله ، صوام وقوام ، كريم كثير العطاء .

**أتريدون أن تعرفوا من أنا ؟**

أنا ولدت فى بيت من أكبر بيوت مكة وأعرقها ، من أبوين شريفين ، فعشت فى النعيم والرفاهية . وكان حبىّ لأمىّ ، وحبها لى مضرب الأمثال بين الناس .

نشأتْ بينى وبين « أبى بكر » صداقة قوية . فكنت دائما معه ، استمد منه المشورة ، وآنس به ، وأثق فيه .

سمعت ذات يوم ، أنه ترك دين قريش ، وآمن بدين جديد ، يدعو إليه محمد بن عبدالله . فأصابنى حزن كبير ، ولم أصدق هذا الخبر . أتعرفون لماذا حزنت وأصابنى الهمّ ؟

لأننى خشيت على صداقتنا أن تتعرض للخطر . فكفار مكة لن يقبلوا غير دينهم ، ولن يستجيبوا لما يدعو إليه محمد ، وسيصبح لقائى بأبى بكر ، والجلوس معه صعبا . لن تقبله قريش .

أسرعت إلى خارج مكة ، وجلست على إحدى ربواتها ، أفكر ، وأقول لنفسى : أبوبكر رجل عاقل ، وحكيم ، وصادق . ولا يمكن أن يترك دين آبائه وأجداده ، إلا إذا وجد ما يدعو إليه «**محمد**» خيرا منه . ولماذا لا ألقاه ، وأتحدث إليه فى هذا الأمر ، وأناقشه فيه ؟ فلا يصح أن أسمع كلاما عنه ، وأحكم عليه ، دون أن أسمع منه هو . فقد يكون ما قيل لى عنه ، غير صحيح .

والتقيت بأبى بكر ، وأكّد لى صدق ما سمعت ، وجلس يحدثنى عن الإسلام الذى يدعو إليه محمد بن عبدالله ويبشر به . ولا أكتمكم الحقيقة ، فما قاله أبوبكر عن دعوة « محمد » كلام لاينكره عاقل ، ولا يكفر به إلا من يكون غبيا ، أو معتوها ، أو متعصّبًا .

فلم أتردَّدْ فى اتخاذ القرار ، وشهدت أن لا إلٰه إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وكنت أوّل من أسلم من الفتيان . وعمرى يومها سبعة عشر عاما .

أتعلمون ماذا فعلت أمّي يوم علمت أننى أسلمت ، واتبعت الدين الذى جاء به محمد ﷺ ؟ لقد حزنت حزنا عميقا ، وأقامت الدنيا وأقعدتها . وأخذت تتودّد إلىّ بحبّى لها أن أترك دين محمد ، وأعود إلى الكفر والضلال مرة أخرى . مرّة تُغرينى ، ومرة تهدّدنى ولما رأت إصرارى على الإسلام ، قررت أن تُرغمنى على تركه . وقالت لى :

إن لم ترجع إلى دين آبائك ، وتترك الإسلام . سوف أُضرب عن الطعام والشراب ، حتى أموت ، فيعيِّرك الناس بى طول حياتك . فقلت لها : لا تفعلى ذلك يا أمى . إننى لن أعود إلى الكفر بعد أن عرفت الحق ، ودخلت فى الإسلام .

ونفّذت أمى إضرابها عن الطعام والشراب ، حتى أشرفت على الموت ، وجاء بعض أهلى ، لأذهب معهم إليها ، وألقى عليها النظرة الأخيرة قبل أن تهلك وكلهم أمَل فى أننى حين أراها تُصارع الموت جوعا ، سيرقُّ قلبى ، وأرجع عن دين محمد ، لأنقذ أمى من الموت .

وذهبت إلى أمى . إلى أُحبّ إنسان عندى ، وحين دخلت عليها ، كاد قلبى أن يتمزق حزنا عليها ، وشفقة لحالها . وترقرقت عيناى بالدموع ، فانحنيت عليها أقبلها ، ثم همست فى أذنها : يا أمى ، أنت علىّ عزيزة ، لكن دينى أعزّ . أنت لقلبى حبيبة ، لكن الله ورسوله إلىّ أحبّ . مستحيل أن أبيع دينى بحياةِ أى إنسان على الأرض ، حتى ولو كانت أمىّ . يا أمىّ .. لو كانت لك مائة نفس ، فخرجت نفسا نفسا ، ما تركت الإسلام ، فكلى إن شئت ، أو لا تأكلى .

وأمام قوة إيمانى ، وإصرارى على التمسك بدينى . لم تجد أمّى مفرا من أن تعدِل عن إضرابها ، وأكلت وشربت .

ويقولون ، إن السماء ، حَيَّت موقفى هذا مع أمىّ ، ونزل قول الله تعالى ﴿ **وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به عِلم . فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا ، واتبع سبيل من أناب إلىّ ، ثم إلىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعلمون** ﴾

نسيت أن أقول لكم ، إن الدعوة إلى الإسلام فى أول أمرها كانت سرًّا . وكنا نتخفَّى عن عيون الكفار ، لنؤدّى صلاتنا .

وذات يوم ، كنت أصلّى مع بعض أصحابى فى شِعب من شِعاب مكة . حين رآنا بعض الكفار ، وراحو يسخرون منا ، ويعيبون ديننا . وحدثت بيننا مشادة ، فاقتتلنا ، وأمسكت بعظْم جَمَلٍ ، وضربت أحدهم . فسال دمه غزيرا على الأرض . عندئذ فرّ بقية الكفار . وواصلنا صلاتنا تحديًا لهم .

كان الدم الذى سال من هذا الكافر ، أول دم يسيل من كافر فى الإسلام . وكنت أنا الذى أسلته .

لازمت رسول الله ﷺ ، منذ أسلمت . أحفظ منه وحى الله ، وتعاليم الإسلام . وأشاركه غزواته . وكنت محل ثقة الرسول وحبه .

ولعلكم تقولون لى . لقد قرأنا قول على بن أبى طالب كرم الله وجهه « ما جمع رسول الله ﷺ أبَاهُ وأمَّهَ لأحد إلا لـ .؟. » أى أنا . فلماذا قال ذلك ؟ نعم .. قال على بن أبى طالب ذلك . وسأحكى لكم متى افتدانى رسول الله بأبيه وأمه .

كنا فى غزوة « أحد » وكان الموقف صعبا ، وتفرَّق جيش المسلمين . لكننى بقيت بجوار رسول الله ، أقاتل الكفار ، رغم إصابتى الشديدة ، وأصدُّ السّهام الموجهة إليه . ورسول الله يدعو لى ،

ويشجعنى ، قائلا : « ارم .. ؟ .. أَرْمِ أيها الغلام القوى ، ارم **فداك أبى وأمّى »** .

ومضى عهد الرسول ﷺ ، ومن بعده عهد أبى بكر الصديق . وأنا جندىٌّ من جنود الإسلام . يؤدى دوره ، ويحمل تبعات إيمانه ، ويعبد الله كأنه يراه .

وحين ولِيَ الخلافة عمر بن الخطاب ، وجيوش المسلمين فى جهادها ببلاد فارس ، وتأتى الأنباء بموقف الجيوش غير المطمئن . فيقرر **«عمر»** أن يقود الجيوش بنفسه . لكن بعض الصحابة ، رأوا أن فى ذلك مخاطرة بحياة أمير المؤمنين ، والمسلمون فى حاجة إليه أميرا لا مقاتلا . وأشاروا عليه أن يبقى ، ويسندَ مهمة القيادة لأحد الصحابة الكبار .. وكنت أنا ذلك الصحابى الذى أسند إليه قيادة الجيوش فى العراق .

وهناك .. على أبواب العراق ، عند **«القادسية»** عسكرت بجيوش المسلمين ، وأرسلت إلى قائد جيش الفرس ، أدعوه إلى عبادة الله الواحد ، وترك عبادة النار ، والتصديق بمحمد رسولا من عند الله . وإلا .. فهى الحرب بيننا وبينهم .

هكذا ، علّمنا دين الإسلام ، ونبىّ الإسلام . فلسنا دعاة حرب وسفك دماء ، إنما دعاة حُبٍّ وسلام وإسلام .

رفض عُبَّادُ النار ، وأصروا على حرب الإسلام والمسلمين . معتمدين على أسلحتهم التى كانت عندهم ، وليس عندنا مثلها . وعلى كثرة عددهم ، التى كانت أضعاف عددنا ... لكنهم نسوا أن الإيمان والحق ، تسقط معهما مقاييس الحرب البشرية ﴿ **ولينصرنّ الله من ينصره** ﴾ .

وأصابنى مرض قبل أن تبدأ المعركة ، التى سميت بمعركة القادسية ، وملأت الدمامل جسدى ، فكنت لا أستطيع الجلوس ، أو ركوب الخيل ، لقيادة المعركة .

وتساءلت نفسى : لو تأخرت المعركة حتى أُشفى من مرضى ؟ لو أن المعركة بدأت قبل أن يُصيبنى المرضُ ؟ لو .. لو ... لكننى تذكرت نصيحة رسول الله ﷺ ، وهى أن لا يقول الإنسان ، حين يُصيبه شر ، أو يفشل فى عمل ، « **لو** » أنى فعلت كذا ، لكان كذا . فإن « لو » هذه تفتح عمل الشيطان ، وتُصيب الإنسان باليأس . ولكن على المسلم أن يقول : قدّر الله وما شاء فعل !!

ودارت الحرب بيننا وبين الفرس ، وكنت فى شرفة دارى التى اتّخذتها مقرا للقيادة ، أدير المعركة ، وفرسان الله ، يحاربون باسم الله ، وفرسان النار يتهاوون كالذئاب قتلى ... حتى هزمناهم شر هزيمة ، ونصرنا الله عليهم .

## أتعلمون ماذا حدث بعد هذه المعركة ؟

لقد دخل فى دين الإسلام كثيرون من كبار الفرس وقادتهم . لأنهم أدركوا أن الجيش الذى انتصر ، والجنود الذين يقاتلون بمثل هذه الشجاعة والفدائية ، لايمكن أن يكون الدين الذى يؤمنون به باطلا . بل هو الحق الذى يجب اتباعه ، والإيمان به .

وكعادة المسلمين فى البناء والتعمير . قمت ببناء مدينة « **الكوفة** » وتأسيسها ، وجعلتها مقرا للحكم ، ومنارة للدعوة الإسلامية .

ولم يمض وقت طويل حتى كانت جيوش المسلمين ، تعبر نهر « **دجلة** » **وفتحنا** « **المدائن** » حاضرة بلاد الفرس ، بعد أن حاصرناها

شهرين . وأطفأنا النار التى كانت تعبد من دون الله فى بلادهم ، وإلى الأبد .

بقيت واليا على العراق ، إلى أن استدعانى الخليفة عمر بن الخطاب ، لأكون بجواره فى المدينة المنورة . ولم أخالف أمر الخليفة ، فإن له علىَّ حق الطاعة . وبقيت بجواره ، إلى أن طُعن وهو يصلى الفجر فى المسجد ، بيد أبى لؤلؤة المجوسى .

وحين أحس « **عمر** » بقرب نهايته ، اختار ستة من كبار الصحابة ، وعهد إليهم باختيار خليفة للمسلمين بعد موته . وكنت أنا واحدا من هؤلاء الستة ، أصحاب الشورى .

انتهت الشورى ، باختيار « **عثمان بن عفان** » خليفة للمسلمين ، وكان موقفى معه ، كما كان دائما جنديًّا من جنود المسلمين . أدافع عن الدين ، وأبدى الرأى والمشورة . وأنصح ، وأعلّم .... حتى كان قضاء الله فى « عثمان » .

ودخلت الأمة الإسلامية فى فتنة ، ما كان أقساها على النفوس المسلمة . يومها قلت « **ما بكيت فى الدهر إلا ثلاثة أيام . يوم توفى رسول الله ﷺ ، ويوم قُتل عثمان ، واليوم أبكى على الحق . فعلى الحق السلام** »

وفى دارى بمكان يُسمى « **العقيق** » وأنا فى سكرات الموت ، أشرت لابنى إلى خزانة ، ففتحها ، وكان فيها رداء قديم . فقلت له : كَفِّنونى فى هذا الرداء . لقد كنت ألبسه ، وأنا أحارب الكفار يوم غزوة « **بدر** » حفظته من يومها ، لأكفن فيه .

وفى أرض « **البقيع** » بالمدينة المنورة ، كان قبرى . وقد تجاوز عمرى السبعين .

**فهل عرفتم من أنا ؟**

**أنا ... سعد بن أبى وقاص**

أحد العشرة ، الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة . ودعا لى الله قائلا « **اللهم سدّد رميته ، وأجب دعوته** »

فاذكروا جيدا قول رسول الله ﷺ « **أصحابى كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم** » .

# « أنا راهب الليل ، وفارس النهار »

( ٨ )

من أنا .. ؟ حتى أحدثكم عن نفسى .

أنا .. لم أُعَمّر فى الإسلام طويلا ، حتى يكون لى سجل زاخر بالأحداث والأعمال ، حتى أحدثكم عنها .

لكن أذكركم ، بأن حياة الإنسان ، لا تقاس بطول العمر ، وعدد السنوات التى عاشها . إنما تقاس بالأعمال ، وبالأثر الذى خلفه من بعده

قال لى رسول الله ﷺ ، وأنا على فراش الموت ، وقبل أن ألفظ أنفاسى الأخيرة : « **رحمك الله يا أبا السائب . خرجت من الدنيا ، ما أصبت منها ، ولا أصابت منك** » . والسائب هذا هو ابنى .

هكذا كانت حياتى فى الدنيا ، كما عبّر عنها رسول الله . لم أنلّ من نعيم الدنيا شيئا . ولم تستطع بمغرياتها ومفاتنها ، أن تنال منى . وتلك كانت فلسفتى فى الحياة . جعلت الدنيا مزرعة للآخرة ، وتزوّدت منها بالعمل الصالح ، الذى ينجينى يوم العرض على الله . وهذا ما دفعنى لأحدثكم عن حياتى . وأنتم اليوم أحوج إلى هذا الحديث .

قالوا عنى ، إننى راهب بالليل ، أقوم لله ساجدا وقائما . وفارس بالنهار أجاهد فى سبيل الله ، وأشارك المسلمين فى صنع الحياة

أنا حرّمت الخمر على نفسى ، قبل أن تُحرَّم فى الإسلام ، وقلت : لا أشرب شرابا يُذهب عقلى ، ويُضحك بى من هو أدنى منى .

كانت نشأتى وحياتى فى مكة ، لا تختلف كثيرا عن حياة الناس فيها يومها . حتى بعث الله محمدا ﷺ نبيا ورسولا . وكنت ممن

وقفوا يستمعون إليه ، فى بداية دعوته ، ينادى بالإسلام .

وحين انصرفنا من حوله ، ظلت كلماته ترنّ فى أذنى ، وتهزُّ أعماق ، ومكثت أياما أفكر فيما قال . ولا أكتمكم الحقيقة ، فلقد عشت هذه الأيام ، قلقا حزينا كنت فى صراع مع نفسى . هل أستمع لدعوة محمد إلى الإسلام ؟ أم أظلّ عبدا للأصنام ؟

وانتصر الخير فى نفسى . وعلى الفور ، توجهت إلى رسول الله ﷺ ، أعلن إسلامى ، وأصبحت الرابع عشر فى المسلمين . لكنى عشت بقية حياتى نادما . أتعرفون على ماذا ؟ على أننى تأخرت فى إسلامى ، وأسلم قبلى ثلاثة عشر وأتمنى لو كنت أنا أول المسلمين .

وطويت صفحة حياتى قبل الإسلام ، بكل مالها وما عليها وما كان فيها . وبدأت حياة جديدة ، بجوار رسول الله ﷺ ، ومعى زوجتى وابنى السائب .

وكما كان يحدث لكل من اتبع محمدا . بدأت قريش فى تعذيبى ، حتى أكفر بالإسلام ، وأعود إلى عبادة الصنم ، وحياة الجاهلية .

ضربونى ، وسجنونى ، وألقونى فوق الرمال المحرقة ، ووضعوا الصخور المحمية فوق صدرى وبطنى . لقد عهدوا بتعذيبى إلى رجل من أهلى ، هو ابن عمى **«أمية بن خلف»** فكان قاسيا فى تعذيبى . لم يرع رحمًا ، ولم يصن عشرة . مع أنه كان قريبا إلى نفسى .

وصدّقونى إذا قلت لكم . إن من ذاق حلاوة الإيمان ، وآمن حقا بالله ربًّا ، وبالإسلام دِينًا ، وبمحمد رسولا . لايمكن أن تهتز شعرة واحدة من جسده ، مهما ناله من تعذيب وألم ، ومهما صادفه من مشقات ومتاعب . فما أعذب كل هذا فى سبيل الله .

ورقّ قلب النبى لما نلقاه من تعذيب . وكان يتمزق لحالنا ، فالمسلمون لازالوا قلة مستضعفة ، ولا يستطيع أن يفعل شيئا . فأذن لنا بالهجرة إلى الحبشة !

كان ذلك فى السنة الخامسة للدعوة ، فهاجرنا إلى الحبشة ، وكان عددنا أحد عشر رجلا ، وأربع نساء . ورغم أن عثمان بن عفان كان معنا هو وزوجته «**رقية**» بنت رسول الله . إلا أننى كنت رئيس هؤلاء المهاجرين الأول .

لا تظنوا أننا هاجرنا لننجو من تعذيب قريش ، أو أننا ضقنا بالعذاب ، ونودّ أن نستريح ... لا ... لقد هاجرنا ؛ لأن رسول الله ﷺ رأى ذلك ، وأمرنا بالهجرة . فإن تعذيبنا ونحن بجوار الرسول ، أهون علينا من البعد عنه ، ومن مرارة الغربة .

وهناك فى الجبشة ، عشنا نعبد الله فى أمن وسلام ، ونتدارس القرآن ، الذى كان يأتينا مع الوفود أولا بأول . لكن قريشا كانت فى غيظها وحقدها ، لا تريد لنا الاستقرار . وتعمل بشتى الطرق لإعادتنا إلى مكة ، حتى لا ينتشر أمر الدين فى البلاد . وحتى تمارس معنا أساليبها الوحشية ، وتحاصر المسلمين فى مكة ، وتقضى عليهم .

وذات يوم . جاءتنا الأخبار ، بأن قريشا ، دخلت فى دين الله ، وأسلمت ، فطرنا فرحا وسعادة ، وشدنا الحنين إلى جوار رسول الله ﷺ . فحزمنا أمتعتنا ، ورحلنا من الحبشة عائدين !

وعلى مشارف مكة ، تبينا كذب الأخبار التى جاءتنا ، وأن قريشا سربت هذه الأخبار إلينا ، لنعود ونقع فى قبضتها .

التقى بى «**الوليد بن المغيرة**» وكانت تربطنى به صداقة ومحبة ، وألح علىّ أن أدخل مكة فى جواره « يعنى : حماه » . وكانت عادة

العرب ، إذا دخل رجل ضعيف فى حماية سيد من قريش ، لايمكن لأحد أن يمسّه بسوء أو أذى . وقبلت جواره ، ودخلت مكة آمنا . أروح وأجيء . لايتعرض لى أحد من كفار مكة .

لكن إخوانى المستضعفين والفقراء ، لم يجدوا من يأخذهم فى جواره مثلى . فتلقفتهم قريش ، وراحوا يمارسون معهم أبشع أنواع التعذيب .

كنت أمر عليهم وهم يعذبون ، ويصرخون ، فيتقطع قلبى ، وأحس بخناجر تطعننى فى كل جسدى ، وتمزق أحشائى . وأنا أعيش فى أمان ، ولم يعد ينالنى من العذاب شيئا . كما كان حالى قبل الهجرة إلى الحبشة .

وساءَلْتُ نفسى ذات يوم : هل من الرجولة أن أعيش آمنا وأفر بجلدى من التعذيب ، وإخوانى فى الله يعذبون ؟! هل من الإيمان أن أميَّز عن بقية المسلمين ؟! هل أرضى بحماية رجل كافر ، عدوٌّ لله ورسوله ؟؟ والله إن بقائى آمنا وهم يعذبون ، لوصمة عار فى جبينى ، ونقص فى إيمانى . لماذا لاينالنى ما ينالهم ؟! لماذا حرمت نفسى لذة تحمل الأذى فى سبيل الله !!

انطلقت إلى « الوليد بن المغيرة » وقلت له : قد رددت إليك جوارك ، ولا أريد حمايتك . فقال لى : هل آذاك أحد من أهلى ، حتى ترد جوارى ؟ قلت له : لا ولكنى أحب جوار الله وحمايته ، ولن أستجير بغيره . قم بنا إلى المسجد ، لأرد لك جوارك .

ولما أتينا المسجد . قال الوليد : هذا ( وذكر اسمى ) قد جاء يرد علىّ جوارى . فقلت : صدق الوليد . لقد وجدته كريم الجوار ، لكنى أحب جوار الله ربى ، ولا أريد جوار أحد غيره .

فى هذا اليوم ، أصيبت عينى . ولعلكم تتساءلون ، لماذا أصيبت عينك ، وكيف ؟ بعد أن رددت جوار الوليد ، جلست فى مجلس ، كان فيه الشاعر **«لبيد بن ربيعة»** ينشد الشعر ، فسمعته يقول [ ألا كل شىء ما خلا الله باطل ] فقلت له : صدقت . وأكمل البيت قائلا : [ وكل نعيم لا محالة زائل ] . فقلت له كذبت ، إن نعيم الجنة لا يزول . فغضب « لبيد » وثار أحد الجالسين . كيف أهين الشاعر فى مجلسهم ؟ وحدثت بينى وبينه مشادة كلامية ، فلطمنى على عينى ، فأصابها بأذى .

فقال لى الوليد بن المغيرة ، الذى كنت فى جواره : لو بقيت فى جوارى ؟ لما استطاع هذا الرجل ، أو غيره ، أن يضربك على عينك ، ويصيبها بأذى . فقلت له : لا والله . إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها فى الله . وإنى لفى جوار من هو أعزّ منك وأقدر . فقال : هيا عد إلى جوارى مرة أخرى . فقلت له : لا .. وألف لا .

نسيت أن أقول لكم : إنى شاعر من شعراء العرب . ولقد قلت شعرا فى عينى التى أصيبت . قلت :-

فإن تك عينى فى رضا الله نالها يدَا ملحد فى الدِّين ليس بمهتدى
فقد عوّض الرحمن منها ثوابها ومن يرضهِ الرحمن ياقوم يَسْعَدِ

وعادت قريش مرة أخرى ، تذيقنى من العذاب ألوانا . وسعدت نفسى بالانضمام إلى صفوف المعذبين فى سبيل الله .

ولما أذن رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة ، هاجرت إليها ، لا فرارا من قريش ، وإنما امتثالا لأمر الرسول .

وهناك فى المدينة ، استغرقت فى عبادة الله ، وعشت زاهدا فى

كل متع الدنيا وزخارفها ونعيمها . فما أعذب حلاوة مناجاة الله وعبادته . وكان ثوبي هو مايستر جسمي ، وطعامي ، هو مايحفظ عليّ حياتي . ثوب خشن ، وطعام تقشف وزهد .

وليس معنى ذلك ، أنني اعتزلت الناس فى صومعة ، وانقطعت للعبادة ؟ لا .. فلا رهبنة فى الإسلام ، إنما كنت قريبا من رسول الله ﷺ ، أتعلم منه ، وأشارك المسلمين فى جهادهم وحياتهم . وأعمل لكسب قوتى وأهلى ، وكنت فارسا من فرسان « غزوة بدر » ومع ذلك عابد متبتل ، زاهد متصوف .

دخلت يوما المسجد ، وكنت ألبس ثوبا خشنا مُرقَّعا . فرق رسول الله ﷺ لحالى ، ودمعت عيون أصحابه . فقال لهم :

« **كيف أنتم يوم يغدو أحدكم فى حُلَّةٍ ، ويروح فى أخرى . وتوضع بين يديه قصعة ، وترفع أخرى . وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة** » ...

فقالوا : وَدِدْنا أن ذلك يكون يارسول الله ، فنصيب الرخاء والعيش . فقال الرسول : « **إن ذلك لكائن . وأنتم اليوم خير منكم يومئذ** »

وهذا ما جعلنى أتحدث إليكم عن سيرتى ، لأننى أراكم اليوم جعلتم كل همكم الدنيا ومتاعها الزائل . وركنتم إلى أعدائكم ، أعداء الله ، لحمايتكم . ولم تركنوا إلى الله . وهذا هو سبب ما أنتم فيه من هوان على أعدائكم ، وعلى أنفسكم .

**فهل عرفت الآن من أنا ؟**

**أنا ... « عثمان بن مظعون »**

كنت شاعراً ، ومسلما زاهدا ، عابدا . لم أصب من الدنيا ، ولا أصابت منى ... وأنا أول من مات من المهاجرين فى المدينة المنورة . وكانت وفاتى فى السنة الثانية من الهجرة ، متأثرا بجروح التعذيب الذى أصابنى من كفار مكة .

# « أنا صانع السلاح ، ومعلّم القرآن »

( ٩ )

أنا الذى كنت أقرأ القرآن لفاطمة بنت الخطاب وزوجها « **سعيد بن زيد** » فى بيتهما . عندما طرق الباب أخوها عمر بن الخطاب . ودخل عليهما متقلدا سيفه ، يريد أن يعاقبهما ، لأنه سمع بإسلامهما ، ودخلا فى الدين الذى يدعو إليه محمد .

عندها ، أسرعت بالاختفاء . ودارت مناقشة حادة ، بين عمر وأخته وزوجها . وفوجئت بعمر يهدأ حين سمع القرآن ، ثم جلس وقال : دلّونى على محمد . فخرجت من مخبئى ، وقلت له : والله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصّك بدعوة النبى ﷺ ، يوم دعا : « **اللهم أيّد الإسلام بأحب الرجلين إليك . أبى الحكم بن هشام ، وعمر بن الخطاب** » .

وأخبرت « **عمر** » بمكان رسول الله ﷺ . فذهب إليه ، وأسلم لله رب العالمين .

أنا أشهر صانع للسيوف فى مكة . وشاء الله أن يتحول حديدها بعد إسلامى ، إلى مكاو توضع فى النار ، ويكوى بها جسدى .

رغم فقرى ، وضعفى ، تحديت كفار قريش ، بجبروتهم وطغيانهم . فلم يستطيعوا أن ينالوا منى ، ولا أن يفتنونى فى دينى وإسلامى .

أنا من الذين نزلت فيهم آيات من القرآن الكريم ، تدافع عنهم ، وتوصى رسول الله بنا .

**أنا ... هل تريدون أن تعرفوا من أنا؟**

أنا من أسرة فقيرة ضعيفة . كانت تعيش بعيدا عن مكة . وتمضى حياتها لاهى فى العير ، ولا فى النفير . وذات يوم ، وأنا طفل

صغير . سطا علينا قوم أشرار . فقتلوا أبى ، وأخذونى وأمّى وأختى أسرى . .

باعوا أمّى وأختى فى مكان بعيد لا أعرفه . وأخذونى إلى مكة . وهناك ، عرضونى للبيع فى سوق العبيد .

كنت حزينا على قتل أبى . حزينا على فراق أمّى وأختى . خائفا من المجهول الذى أسير إليه .

رأتنى امرأة تسمى «**أم أنمار**» فرق قلبها ، حين رأتنى طفلا يبدو على وجهه الحزن والبؤس والاجهاد . فاشترتنى عبدا لها .

وهكذا عشت فى مكة . لاتفارقنى صورة أبى وهو يقتل . ولا صورةِ أمّى وهى تصرخ ، وعلامات الرعب والفزع التى ارتسمت على وجه أختى ونظراتها . يوم هاجمتنا هذه المجموعة من الأشرار .

وتأملت حياة الناس من حولى . قَوِىٌّ يفتك بالضعيف ، وسادة تستبد بالعبيد ، وتسلبهم أبسط حقوق الحياة . وفساد فى كل مكان ... قوم يتفاخرون بالظلم ، ويتباهون بالطغيان .

والشىء الغريب ، الذى أثار تفكيرى ، وأقلقنى . هو أن هؤلاء الجبارة والسادة ، أراهم يخرون على وجوههم ساجدين ، لأصنام صنعوها بأيديهم ، وجعلوها آلهة يعبدونها . كأن رءوسهم خلت من العقول ، فلم يعد لهم قدرة على التفكير ولا التمييز . إنهم مجرد صنم يهيم فى صنم .

ومضت حياتى ، تعلّمت صناعة السيوف ، حتى أتقنت هذه الحرفة ، وصرت من أشهر صنّاعها فى مكة . وكانت تدرّ على ربحًا

كثيرا . فكنت أُغدق على هذه المرأة ، «**أم أنمار**» التى عطفت علىّ صغيرا ، ومنحتنى حريتى كبيرا .

وذات يوم ، وعمرى قد تجاوز العشرين . سمعت أن محمدا بن عبدالله ، يدعو إلى دين جديد . يُحرِّمُ الظلم والفساد ، ويساوى بين الناس فى الحقوق والواجبات لا سادة ولا عبيد ، الكل أمام الله سواء ، لا تفاضل بالمال أو الحسب والجاه . إنما بالأعمال الصالحة ، والأخلاق الفاضلة . وأن العبادة لله وحده ، لا لصنم أو سيّد .

أدركت على الفور ، صدق ما يدعو إليه محمد ، وقيمة مبادئه فى سعادة الناس . لاسيما وأنا عانيت من الظلم والقهر ، وذقت مرارة البطش والتسلّط . فأسرعت إلى لقائه . وشهدت أن لا إلَه إلا الله ، وأنه رسول من عند الله .

ومن يومها ، بدأ معى كفار قريش ، أبشع قصة تعذيب شهدتها البشرية . وتلك كانت عادتها مع كل من يدخل فى الإسلام . خاصة إذا كان من العبيد والضعفاء أمثالى .

كانوا يرون أنه ليس من حقنا أن نعيش إلا عبيدا لهم ، ولا نعبد إلا آلهتهم ، ولسنا أحرارا حتى فى تفكيرنا أو أجسامنا . نحن فقط كأصنامهم ، لا تسمع ولا ترى ، ولا تفكر ، ولا تحس .

انتزعونى من دارى ، وأخذوا كل ما فيها من حديد وسيوف ، وصنعوا منه مكاوٍ ، تحمى فى النار ، ويكوى بها جسدى .

مارسوا معى كل ألوان التعذيب ، التى لا تتخيلون بشاعتها . واستعانوا « بأم أنمار » فكانت تأخذ الحديد المحمى الملتهب ، وتكوى به رأسى . كل هذا لأكفر بالدين الذى جاء به محمد ﷺ ، وأعود إلى كفرهم وضلالهم .

سألنى عمر بن الخطاب يوما عما لقيت من المشركين . فقلت له : يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهرى . فنظر ، ثم قال : مارأيت كاليوم ظهر رجل . فقلت له : لقد أوقدوا نارا ، وسحبونى عليها ، فما أطفأها إلا لحم ظهرى .

واسمعوا « **الشعبى** » يحكى عن تعذيبى ، وموقفى منهم : « إن (...) وذكر اسمى . صبر ، ولم يُعط الكفار ماسألوا . فجعلوا يلزقون ظهره بالحجارة المحماه ، حتى ذهب لحم ظهره » .

ورآنى يوما رسول الله ﷺ ، والحديد المحمى فوق رأسى يشويها . فرفع وجهه إلى السماء ، ودعا لى قائلا : «**اللهم انصر** ...» وذكر اسمى .

أتعرفون ماذا حدث بعدها ؟ لقد مرضت « أم أنمار » وأصابها الصَّرع . فكانت تَعْوِى كالكلاب . ولم يجدوا لها علاجا إلا الكىّ بالنار على رأسها . تماما كما كانت تفعل بى .

لا تظنوا أننى أتفاخر أمامكم بما نالنى من تعذيب ، وصبرى عليه ، إنما لأقول لكم : إن الإنسان إذا عرف الحق ، واهتدى إليه . فعليه أن يلتزم به ، ويقف إلى جواره ، ولايحيد عنه ، مهما ناله من مشقة وجهد وتعب وتضحية . فالله حين هدانا للإسلام ، يريد أن يبتلينا ، ليعلم الصادقين منا ، ويعلم الكاذبين . يقول سبحانه ﴿ **أحسب الناس أن يتركوا ، أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم . فليعلمنّ الله الذين صدقوا ، وليعلمنّ الكاذبين** ﴾ صدق الله العظيم .

ولا أقول لكم ، أننا كنا نعرض أنفسنا للتعذيب ، أو نسعى إليه . لنكتسب بطولة ، أو ثناء ؟! لا ... كنا نريد ألا يحدث ذلك

من كفار قريش حتى نتفرغ لنشر الدين ، وتعلّمه ، وعبادة الله وحده . لكنهم أبوا علينا ذلك .

ذات يوم ، ذهبت مع بعض أصحابى ، ممن يعذبون مثلى ، إلى رسول الله ﷺ ، نشكو له ما نلاقى من تعذيب . فوجدناه متوسّدا ببردة فى ظل الكعبة الشريفة . فقلنا : يا رسول الله ، ألا تستنصر لنا ؟ . أتعلمون ماذا قال رسول الله ؟

جلس وقد احمرّ وجهه الشريف وقال : « **قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجل ، فيحفر له فى الأرض . ثم يُجاء بالمنشار فيُجْعل فوق رأسه ، ما يصرفه عن دينه . ويمشط بأمشاط الحديد ، ما دون لحمه من عظم وعصب ، ما يصرفه عن دينه . وليتمنّ الله هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخشى إلا الله عزّ وجلّ ، والذئب على غنمه . ولكنكم تعجلون** » .

كنا نشكو إلى رسول الله ، لنحتفظ بأجسامنا وصحتنا ، حتى تكون قادرة على الإكثار من العبادة ، والجهاد فى سبيل الله . كنا نتعجل اليوم الذى يصبح المسلمون فيه قوة ، ترهب أعداء الله ، والإسلام عزيزا ، يقتحم معاقل الظلم والفساد والشرك ، وترفرف رايته خفاقة فى كل مكان ، يستظل بها الناس كافة فى ظلال المحبة والعدل والأمن والسلام .

ولعلكم الآن تريدون أن تعرفوا ، كيف دافع القرآن عنا ، ووصىّ رسوله ﷺ بنا ؟ نعم .. سأحكى لكم .

كان رسول الله ، لا يفرِّق بين غنىّ وفقير ، ولا بين عبد وسيّد ، بل كنا جميعا نجلس معه ، ونستمع إليه ، ونتعلم منه أمور الدين ، ونخلص لله فى عبادتنا .

فطلب منه بعض كبار قريش وسادتها ، أن يجعل لهم يوما يجلسون فيه معه ، ويجعل لنا - نحن الفقراء والضعاف ، أنا وبلال ، وصهيب وأمثالنا - يوما آخر غير يومهم . يريدون بذلك ألا تتساوى رءوسنا برءوسهم ، ولايصح أن نجلس فى مجلسهم . وقبل أن يرفض رسول الله ﷺ طلبهم . ينزل القرآن الكريم ، يدافع عنا ، ويوصى رسول الله بنا . يقول سبحانه وتعالى :

**﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشى ، يريدون وجهه ، ماعليك من حسابهم من شىء ، وما من حسابك عليهم من شىء ، فتطردهم فتكون من الظالمين ... ﴾** الآيات .

أتعلمون ماذا حدث بعد ذلك ؟

كان رسول الله ﷺ ، إذا رأى أحدا منا ، بالغ فى إكرامه ، ويقول له : « أهلا بمنّ أوصانى بهم ربىّ »

لقد تحولت حياتى فى الإسلام ، من صانع السيوف ، إلى معلّم القرآن . فكنت فى أيام الإسلام الأولى ، أذهب إلى بيوت بعض المسلمين الذي يُخفون إسلامهم ، أعلّمهم القرآن ، وأقرأه لهم . وقد حدثتكم عن فاطمة أخت عمر بن الخطاب .

وهناك فى المدينة المنورة ، عشت بعد الهجرة ، ملازما لرسول الله ﷺ ، وأشاركه فى كل غزواته وحروبه . وأعلّم القرآن . حتى إن عبدالله بن مسعود ، كان يعتبرنى مرجعا فيما يتصل بالقرآن وحفظه ودراسته .

وبعد وفاة الرسول ، بقيت على العهد ، مجاهدا فى سبيل الله . فشاركت فى حروب الردة ، وفتوحات الإسلام ، فى عهد الخلفاء الراشدين .

وانتهى بى المطاف فى الكوفة . فبنيت لى دارا ، من راتبى الذى كنت أتقاضاه ، وكان يزيد عن حاجتى .

ولعلكم تتساءلون : ماذا كنت أفعل فى هذا المال الذى يفيض عن حاجتى ؟ نعم من حقكم هذا . ومن حقى أن أقول لكم الحقيقة .. كنت أضع مالى فى مكان بالدار . وكان هذا المكان يعرفه كل أصحابى . وأذنت لكل من له حاجة ، أن يأخذ من المال حاجته دون سؤالى . فوالله ما خبأته ، ولا منعته عن سائل ، أو محتاج . فقط كنت أحتفظ به ، لأساعد محتاجا ، أو أطعم فقيرا ، أو أقضى به حاجة محتاج ، أو عابر سبيل . إن ديننا الحنيف ، يدعونا إلى أن نستثمر أموالنا فى فعل الخيرات ، ولا نبدّد ما يزيد على حاجتنا ، فى المظاهر ، ولا نحرم منه محتاج .

ولما حضرتنى الوفاة ، نظرت إلى كفنى ، فوجدته إسرافا . وقلت لمن حولى : انظروا .. هذا كفنى . ويوم استشهد « حمزة » عم الرسول ، لم يجدوا له كفنا إلا بردة . كانوا إذا جعلوها على رأسه ، تعرّت قدماه . وإذا جعلوها على قدميه ، تعَرّت رأسه .

وهناك بظاهر الكوفة ، كان قبرى

**فهل عرفت الآن من أنا ؟**

**أنا ... خَبّابُ بنْ الأَرَتّ**

قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، حين رأى قبرا بظاهر الكوفة ، وهو عائد من معركة «صفين» قبر مَنْ هذا ؟ فقالوا له : هذا قبر «خبّاب» فقال : رحم الله خبَّابًا . لقد أسلم راغبا . وهاجر طائعا . وعاش مجاهدا .

وصدق الله العظيم ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ...** ﴾ .

# « أنا أصغر قائد لجيش المسلمين »

( ١٠ )

أنا الذى قاد جيش المسلمين إلى الشام ، وعمرى يومها حوالى ثمانية عشر عاما . وكان عمر بن الخطاب ، وكبار المسلمين فى هذا الجيش .

أذكر يوم خرج الخليفة أبوبكر الصديق ، ماشيا على رجليه ، يودع الجيش . وأنا راكب . فقلت له : يا خليفة رسول الله . إما أن تركب ، أو أنزل فقال لى : والله لا نزلت ، ولا أركب . وما علىّ إلا أن أغبر قدمى ساعة فى سبيل الله . فإن للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له . وسبعمائة درجة ترفع له . وسبعمائة سيئة تمحى عنه .

أنا حِبُّ رسول الله ، وابن حِبِّ رسول الله ﷺ . تقول عائشة أم المؤمنين : سمعت رسول الله يقول : « **من كان يحب الله ورسوله فليحبب ..؟..** » **وذكر اسمى** .

نشأت منذ صغرى، على مكارم الأخلاق . محبا للفروسية ، لا أعرف اللهو ولا المجانة . وصرت فى شبابى مجاهدا شجاعا ، وفقيها مُفتيا ، وصوَّاما قواما .

عندما تولّى عمر بن الخطاب الخلافة ، كان راتبى أكبر من راتب ابنه عبدالله . ولما احتج عبدالله على ذلك . قال له عمر «إنه كان أَحَبَّ إلى رسول الله منك . وأبوه كان أحب إلى رسول الله من أبيك »

**فهل تريدون أن تعرفوا من أكون أنا ؟**

أنا أبى كان من أحرار العرب ، لكنه تعرض لحادثة ، غيرت مجرى حياته سأحكيها لكم .

ذات يوم ، خرجت جدَّتى لزيارة أهلها ، وأخذت ابنها معها ، وكان طفلا صغيرا ، أخذت أبى ليراه أهلها . وفى الطريق ، هاجمتهم قبيلة ، واختطفت أبى ، ذلك الطفل الصغير . وهناك فى سوق عكاظ باعوه عبدا ، فاشترته السيدة خديجة بنت خويلد . وتلك كانت عادة العرب فى الجاهلية ، سطو ونهب وسلب .

ولما تزوجت من رسول الله ﷺ ، أحب هذا الغلام الصغير ، الذى تبدو عليه ، مظاهر الذكاء والفطنة ، والإخلاص . فوهبته السيدة خديجة لزوجها رسول الله ، فأعتقه . وأكرمه ، وصار أبى خادما له ، وسنّه يومها ثمانى سنوات .

عاش فى هذا البيت الكريم ، الذى حظى فيه بكل رعاية ، وعناية وحب ، وحسن عشرة ومعاملة .

كانت أم أبى حزينة على فراقه ، تصبح وتمسى لاتكف عن البكاء ، وكان والد أبى وأهله ، يبحثون عنه فى كل مكان ، أملا فى لقائه ، والعثور عليه .

وجاء موسم الحج ، والتقى أبى بقوم يعرفهم ، ويعرفونه ، ولما عادوا أخبروا أهله ، بأن ابنهم فى مكة ، وفى خدمة بيت كريم .

ولما جاءوا إلى مكة . والتقوا برسول الله ، وعرضوا عليه أن يفتدوا ابنهم ، ويأخذوه . قال لهم رسول الله ﷺ ، نعرض عليه الأمر ، وله أن يختار . إما أن يذهب معكم ، أو يبقى معى . ولن آخذ منكم فداء إذا اختاركم .

وجاءوا بأبى . فقال له الرسول : هل تعرف هؤلاء ؟ قال : نعم هذا أبى ، وهذا عمىّ . فقال له الرسول : فأنا من قد علمت ورأيت صحبتى لك . فاخترنى أو اخترهما . فقال أبى : ما أنا بالذى

أختار عليك أحدا ، أنت منّى بمكان الأب والعم .

فأخذه رسول الله ﷺ ، وخرج يعلن على الناس : اشهدوا أن ..؟ .. ( وذكر اسم أبى ) ابنى ، أرثه ويرثنى . ففرح أبوه وعمه ، واطمئنا عليه . وعادا إلى ديارهما .

ومن يومها أصبح أبى ينسب إلى رسول الله ، ويسمونه « ... ابن محمد» إلى أن أبطل الإسلام عادة التبنى ، ونزل قول الله تعالى **﴿ ادعوهم لآبائهم ، هو أقسط عند الله ﴾** فأصبح اسمه « ... **بن حارثة** » .

ولما بعث الله محمدا ﷺ ، رسولا إلى الناس ، كان أبى رابع من أسلموا ، ولم يسبقه فى الإسلام إلاالسيدة خديجة ، وأبوبكر ، وعلى بن أبى طالب .

وذات يوم ، ورسول الله جالس مع أصحابه ، ذكر السيدة . أم أيمن بخير ، ورغّب فى الزواج منها . رضوان الله عليها . فتزوجها أبى ، وأنجبا غلاما ، هو أنا . فهل تعرفون من هى أمّى هذه ؟

إنها حاضنة رسول الله ﷺ ، وكانت عنده بمنزلة أمّه . جاهدت مع رسول الله ، فى غزوة **«أحد»** ، وغزوة **«حنين»** وكانت تسقى الماء ، وتداوى الجرحى . وأبى هو من حدثتكم عنه ، منذ قليل .

مع هذين الأبوين الكريمين نشأت ، بجوار رسول الله ﷺ . ونلت من رعايته وتربيته ، ما لم ينله أحد غيرى ، ونما عودى على تعاليم الإسلام ، ومبادئه ، وكنت عند رسول الله محبوبا .

ذات يوم ، سرقت امرأة من شريفات قريش ، وثبت عليها

إقامة الحد . وهو أن تقطع يدها . فاجتمع أهلها ، يبحثون عن أحد ، يشفع لها عند رسول الله ، حتى لايقيم عليها الحد . فلم يجدوا غيرى .

جاءنى أهلها وقالوا لى : أنت حِبُّ رسول الله ، وابن حِبِّه . فاشفع لنا عنده . وحين بلّغت شفاعتى لرسول الله ، غضب وقال : **« إن بنى إسرائيل كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه !! لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها »**

هذا هو الإسلام ، لا شفاعة ولا وساطة فى الحقوق والواجبات ، الناس كلهم سواء أمام شرع الله . ولعلكم تقولون لى : لماذا قبلت الشفاعة ؟ فأقول لكم : كنت صغيرا ، لا أدرك كل حقائق الإسلام يومها ، ورسول الله بيننا . هو معلّمنا ومرجعنا .

وهناك .. فى المدينة المنورة بعد الهجرة . كان رسول الله يتجهز لغزوة «**بدر**» وفرحت لأننى سأجاهد معهم فى سبيل الله ، وأنتقم من كفار مكة ، الذين آذوا رسول الله ، وعذبوا أصحابه .

لكن حدث أن مرضت السيدة رقية بنت رسول الله ، وزوجة عثمان بن عفان . فطلب منى أن أبقى مع «**عثمان**» لتمريض السيدة «**رقية**» ولما عاد المسلمون منتصرين من هذه الغزوة . ماتت السيدة رقية رضى الله عنها .

ولما جاءت غزوة « **أحد** » عاد الأمل فى الجهاد إلى نفسى مرة أخرى وطلبت من رسول الله ﷺ ، أن أشارك فيها ، لكنه ردنى لصغر سنى . وأمام إلحاحى ، سمح لى الرسول بالاشتراك فى غزوة « **الخندق** » وكان عمرى يومها أقل من خمسة عشر عاما . كما شاركت فى فتح مكة وفى غزوة « **حنين** »

وأظهرت كفاءة عسكرية ، وشجاعة . فى كل العمليات العسكرية التى شاركت فيها ، حتى وثق رسول الله ﷺ من كفاءتى ، وقدرتى .

وشاء الله أن تكون حياتى مع أبى قصيرة . ففى السنة الثامنة للهجرة جهز رسول الله جيشا لمحاربة « **الغساسنة** » الذين قتلوا الرسول الذى أرسله إليهم . وكان عدده ثلاثة آلاف مقاتل . وجعل قيادة الجيش لأبى . فإن أصيب أو استشهد ، فيتولى القيادة « **جعفر ابن أبى طالب** » . فإن أصيب أو استشهد ، فالقيادة « **لعبدالله بن رواحة** » .

وما إن وصل الجيش إلى قرب «**مؤتة**» قريبا من الأردن ، وعسكر هناك . حتى فوجئوا بجيش العدو ، يتكون من مائة ألف . بعضهم من الغساسنة وبعضهم من حلفائهم من الروم ، ومن العرب المحيطين بهم .

واجتمع قادة المسلمين يتشاورون . أيرسلون لرسول الله يستمدون منه المشورة والرأى ، فى هذا الموقف غير المتكافىء ؟ أو يرسل إليهم مددا من الرجال والسلاح .

وهنا ، قال عبدالله بن رواحة : والله إن التى خرجتم لطلبها هى الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ، ولا قوة ، ولا كثرة . فانطلقوا بنا إلى إحدى الحسنيين ، النصر أو الشهادة

والتقى الجيشان ، وقاتل المسلمون ببسالة وشجاعة . حتى استشهد أبى ... واستشهد « **جعفر** » واستشهد « **ابن رواحة** » فتولى القيادة « **خالد بن الوليد** »

ورأى « خالد » بخبرته العسكرية ، أن استمرار هذه المعركة

غير المتكافئة إطلاقا ، سيؤدى إلى فناء جيش المسلمين . وأن من الحماقة أن يظل يحارب هذه الأعداد الضخمة . والخير فى الانسحاب .

وضع القائد خالد خطة للانسحاب ، تضمن له سلامة الجيش ، وتوهم الأعداء بأن مددا جاءهم . ونجحت الخطة .

أتعلمون ماذا حدث بعد ذلك ؟ ولّانى رسول الله ﷺ فى آخر أيامه ، قيادة الجيش الذى أعدَّه لقتال الروم ، والانتقام منهم ومن الغساسنة لقتلى المعركة التى استشهد فيها أبى .

لم تنل قيادتى للجيش رضا بعض الصحابة ، لصغر سنّى ، وحداثة عهدى بفنون الحرب . ولما علم ذلك رسول الله ، غضب وقال : لقد بلغنى أن أقواما يقولون فى إمارة « ..؟ .. » ولعمرى لئن قالوا فى إمارته ، لقد قالوا فى إمارة أبيه من قبله . وإن كان أبوه لخليقا للأمارة ، وأنه لخليق لها .

ومات رسول الله ﷺ ، والجيش لم يبرح المدينة المنورة . واشتد الخطب على المسلمين ، ورأى بعضهم أن يبقى الجيش فى المدينة ، لمواجهة الذين تمردوا على الإسلام بوفاة الرسول ، وارتدوا عن الدين .

لكن الخليفة أبابكر الصديق رفض ذلك قائلا : والله لا أحلّ عقدة عقدها رسول الله ﷺ . ولو أن الطير تخطّفنا ، والسباع من حول المدينة ، لأجهزن جيش أسامة . وكان ضمن رجال الجيش عمر ابن الخطاب .

وخرجت على رأس الجيش فى حملة تأديبية للروم ، وخضت ما تسموه الآن بالحرب الخاطفة ، ثم عاد الجيش منتصرا إلى المدينة

المنورة . وكان فى استقباله خليفة رسول الله « **أبوبكر** » والمسلمون ، الذين فرحوا بنصر الله ، ودبّ فى نفوسهم الأمل ، بعد أن أحزنتهم حروب الردة .

لم يطل بى الانتظار طويلا فى المدينة بعد عودتى . وإنما حملت سلاحى أشارك فى حروب الردة ، حتى قضينا على الفتنة ، وبقيت للإسلام هيبته وجلاله .

وهكذا عشت بعد رسول الله ، جنديا من جنود المسلمين وكان الخليفة عمر بن الخطاب ، إذا قابلنى قال لى : السلام عليك أيها الأمير . مات رسول الله وأنت علينا أمير .

وكنت محل ثقة الخليفة عثمان بن عفان ، ومن المقربين إليه . وكان حزنى شديدا يوم قتل « **عثمان** » .

**فهل عرفتم من أنا ؟**

**أنا ... أسامة بن زيد .**

كنت كثير العبادة ، صوّاما قواما ، صدوقا ، يجهر بالحق ، ولا يخاف فى الله لومة لائم . كنت حريصا على صيام الإثنين والخميس ما استطعت .

كانت وفاتى فى أواخر خلافة « **معاوية بن أبى سفيان** » .

# الفهـــرس

رقم الايداع ٨٧/٤٠٣٣

# فى هـذا الكتاب

يتحدث عشرة من كتائب النور ، التى احتضنت الإسلام وليدا ، وتحدّت به عُبّاد الصَّنم ، وجبابرة الشِّرك . وأدّتْ أدوارا خالدة فى حفظه ، والدفاع عنه . صِدقا ، وفِقها ، وحَربا ، وسلوكا .

عشرة من عظماء الإسلام ، عاصروا بداية الرسالة والرسول ، وعاشوا فرسانا فى النهار ، ورهبانا فى الليل .

لقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فى حُبّ وعِشق ، فكانت حياتهم كلها فداء وتضحية ، علم وعمل ، زهد وورع ، بطولة وعطاء .

عشرة من خريجى المدرسة المحمدية ، يتحدثون عن أنفسهم ، ويعرضون لنا بعض جوانب العظمة فى حياتهم الخالدة .

يضعونها أمام أجيالنا الصاعدة ، لتكون لهم قدوة يهتدون بها ، ويعرفوا منها كيف يكون الصدق مع النفس ، والتمسك بتعاليم الدين الحنيف ، وكيف تكون البطولة فى سبيل العقيدة .

عشرة تليها عشرة إن شاء الله ، نقدمها لأجيالنا الصاعدة ، حتى لا تفقد القدوة الصالحة ، وتبحث عنها خارج دائرة العقيدة السمحاء ، فيتوه منها الطريق ، وتفقد الهوية ، فتهوى فى واد سحيق .

المؤلف